جامعة الأزهر
حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالزقازيق

تحويل القبلة ودلالات تكرار الأمر بها

نظرات جديدة تمزج بين التفسير والحديث واللغة

بحث تأصيلي تحليلي

الدكتور

أبو بكر علي الصديق

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

بكلية التربية والعلوم الأساسية جامعة عجمان

دولة الإمارات العربية المتحدة

العدد الثامن

للعام ١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م

الجزء الأول

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٢١٨٤/ ٢٠١٨م

الترقيم الدولي ISSN 2535-2350

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله وصلاة وسلاما على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد: فإن هذا البحث يتكلم عن (تحويل القبلة ودلالات تكرار الأمر بها) نظرات جديدة تمزج بين التفسير والحديث واللغة، ضمن إطار تأصيلي تحليلي. وجعلته مشتملا على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث. وتضمنت المقدمة الاستهلال وأهمية الموضوع وسبب اختياره والدراسات السابقة عليه والجديد الذي أتى به ومنهجي في البحث.

وفي التمهيد ذكرت أقوال المفسرين في الآيات التي تساعد على فهم الموضوع من حيث هو كتحويل القبلة وأهمية الكعبة والحكمة في تحديدها ووجوب التوجه إليها. وأهمية ذلك وأهمية الصلاة. ثم اشتمل البحث على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التكرار اللفظي الخاص ودلائله

المبحث الثاني: التكرار اللفظي العام ودلائله

المبحث الثالث: التكرار الضمني ودلائله

وأما الجديد الذي طرحه البحث فهو أن التكرار ليس بألفاظ خاصة فحسب. كما ذكر المفسرون. وإنما قدمت الآيات ألفاظا عامة ستة. ثم ألفاظا خاصة خمسة. ثم ألفاظا ضمنية خمسة. وبينت كيف تضافرت هذه الألفاظ وتعاضدت لتخرج لنا صورة حوارية رائعة. وذكرت دلائل هذه الألفاظ العامة والخاصة والضمنية. وما اشتملت عليه من حكم يعجز البشر عن مضاهاتها، وتحديات لا يستطيع أحد مواجهتها. ولم يستطع - ولن يستطيع - أحد عبر أربعة عشر قرنا أو يزيد أن يحرف برغم كثرتهم وكثرة محاولاتهم التي لم تنقطع على مر الزمن .

وبينت أنه لم يحظ حكم شرعي بمثل ما حظي به تحويل القبلة. وبلاغة التعبيرات الدقيقة المختصرة التي تصلح أن تكون قواعد حوارية يجب أن يحفظها كل مسلم يختلط بغير المسلمين.

وبينت في الخاتمة الأمور التي توصلت إليها في هذا البحث. وأتبعت الخاتمة بفهرس للموضوعات وفهرس للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها.

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم متقبلا بفضله وكرمه.

الباحث: ا. د : أبو بكر علي الصديق . أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية التربية والعلوم الأساسية جامعة عجمان . دولة الإمارات العربية المتحدة

Research Summary

In the name of of Allah the Merciful

Thanks to God and prayer and peace upon the Messenger of Allah and his followers and companions.

Either after, this research is about (the transformation of the Qibla and the signs of repeating it) new opinions that gather interpretation, Hadith and language, within the framework of analysis. And I included an introduction, a preface and three questions. The introduction included the importance of the topic, the reason for its selection, the previous studies, the new ones, and its methodology in the research.

In the preface I mentioned the words of the interpreters in the verses that help to understand the subject in terms of the conversion of the Qiblah and the importance of the Kaaba and the wisdom in identifying and and our duty to follow it, importance of that and the importance of prayer. Then the research included three questions:

The first question: Verbal repetition and its evidences.

The second question: the general verbal repetition and its evidences.

The third question: implicit repetition and its evidences.

The unprecedented that the research offers is that the repetition is not about special verbs only. As mentioned by the interpreters .

But the verses offered six general terms, then five special words.

And showed how these words correlated and differed to bring us a wonderful dialogue picture. Indications of these general, specific and implicit terms were stated. And what it contained in the rule of human beings can not match them, and challenges that can't be

faced - and could not and can't – by anyone through fourteen centuries or more despite the many attempts that did not break over time.

The research pointed out that it did not have a legitimate judgement as much as the conversion of the Qibla had. And the eloquence of the brief and concise expressions that serve as rules of dialogue should be preserved by every Muslim mixed with non-Muslims.

In the conclusion I brought to light the results that I found in this research. The conclusion was followed by an index of topics and an index of the sources and references on which it was based.

I ask Allah to make this work pure for His holy face and to receive His thanks and generosity.

INT: Dr. Abu Bakr Ali Al-Siddiq Professor of Interpretation and Sciences of the Quran at the Faculty of Education and Basic Sciences Ajman University. State of United Arab Emirates

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفرد بالقول الفصل، وحكم بين العباد بالعدل، وأنزل التشريع جِدا ليس بالهزل، لمصلحة الدنيا والدين، وعز دولة الإسلام والمسلمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد الأكوان وصاحب البيان، الذي بلغ عن ربه النواهي والأوامر، وفصل الباطن والظاهر، وعلّم الأوائل والأواخر، ورضي الله عن آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين، والتابعين الصالحين والعلماء العاملين ومن تبعهم إلى يوم الدين .

أما بعد فإن أشرف العلوم علوم القرآن بلا مراء وأوثقها بلا جدال، لأنه يدور حول القرآن، والقرآن ثابت لا يقبل الجدال ولم يطله التغيير ، وصدق العزيز الجبار القائل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٧ - ٩] فلم يستطع أحد أن يحرف فيه شيئا برغم كثرتهم وكثرة محاولاتهم وشدة عدائهم ومكرهم، فلم يفعلوا شيئا ولن يفعلوا إلى أبد الآبدين ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ * فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٦، ٤٧]

ولذا فنحن نكتب في هذا المجال غير عابئين بمن يعترض ولا آبهين بمن ينتقض، لأننا ندور في فلك ثابت وننطلق من فكر متأصل مترابط . وليس لنا مهمة إلا البلاغ والبيان، كل حسب عصره وظروف مجتمعه . وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨] ويقول: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ﴾ [إبراهيم: ٥٢] ويقول أيضا ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وكانت وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم هي البيان فقط . كما قال تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤] ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَاد ﴾ [آل عمران: ٢٠] ثم كررها مُعرَّفة في القرآن إحدى عشرة مرة ليؤكد على هذا المعنى، لأن مجرد مجيء النبي بالمعجزات الظاهرات القاهرات وعجزهم أمام هذه المعجزات فقد انتهى الحوار، وكل حوار بعد ذلك هو رحمة لخلقه وفرصة لمن يريد الإيمان .

هذا والبحث هنا يمشي على النمط القرآني يبين أوامرالله وأحكامه، ببيان يناسب العصر ومفاهيم أهل هذا العصر . فمن شاء فهم واتعظ ومن شاء كفر وجعل في أذنيه وقراً وعلى عينيه غشاوة. فهذا العلم الذي نقدمه علم ثابت الأصول، نقدمه لقوم يعلمون، فمن علم واتبع ازداد يقينا وثباتا على الحق، ومن علم وأنكر وجادل بالباطل فيقال له: ﴿بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ونقول له كما أمرنا ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]

أهمية الموضوع:

تنشأ أهمية الموضوع من أهمية القضية التي يتناولها الباحث، والقضية خطيرة إذا كانت تدور في فلك الكتاب الذي تُستقى منه وهو الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. فالقضية إذن هامة جدا، وكل الموضوعات القرآنية هامة على كل المستويات العلمية والعملية والدنيوية والأخروية. فكم من كتب ألفت حول آية أو كلمة أو حرف، وما ذلك إلا لأهمية هذا الكتاب العظيم.

وموضوعنا هذا (تحويل القبلة ودلالات تكرار الأمر بها) يدور حول أكبر القضايا القرآنية على الإطلاق، لأنها تتعلق بالذات الإلهية الخالقة التي أمرت بالعبادة

الحقة للإله الحق وحصرت كنه الخلق في هذه العبادة فقال عز وجل ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ولم يترك لأحد بيان وجه هذه العبادة وشكلها ومضمونها وشروطها إلا لنفسه، ومن شروط هذه العبادة أن تتوجه إلى المكان الذي يريد أن يوجهك إليه.

ويشاء سبحانه أن يمتحن البشر أجمعين بتعيين هذه القبلة ثم تحويلها ثم إعادتها على ما كانت عليه، لأمور سنعرفها ونعرّفها إن شاء الله للباحث عن الحق .

سبب اختيار الموضوع:

كثيرا ما يسألنا الناس عن التكرار في القرآن ولماذا كُرر لفظٌ ما في القرآن كثيرا ولم يكرر مرادفه، ولماذا كررت آية في القرآن أو في السورة الواحدة ؟ وقد يكرر أمر أو نهي في أمر ما ولم يكرر غيره ؟

والواقع أن هذه أمور كانت تعتلج في صدورنا في السنوات المبكرة لطلب العلم، وكذلك في أول سنوات التخصص، وكثيرا ما كنا نسأل ونتساءل ونلح على مشايخنا فنسمع منهم ما يريح النفس ويثلج الصدر، ثم ننسى بعد ذلك لأمور يطول شرحها.

والذي يزعج المسلم وخاصة الباحث المتخصص أن كثيرا من الذين يدعون الغوص في أسرار القرآن أنهم اكتشفوا أسرارا لا يعلمها غيرهم، وعند البحث والتفتيش نجد الكذب الواضح والاكتشاف المزور، كما هو الحال في الإعجاز العددي في القرآن، والذي أصبح هجيرى المعاصرين. ثم إذا سألت هذا المكتشف تجده جاهلا في اللغة وجاهلا في عد الحروف، وهذا أمر خطير لأنهم يعرفون أن العامة لا تقرأ ولا تفكر بل يأخذون هذه من المسلّمات وعندما تستقر في أذهانهم ويعتقدونها من الثوابت يطلعون علينا بالحقيقة لنفقد الثقة في كل شيء وتنهار المعلومات، وتقع الفتنة والبلبلة وتشتت الأفكار. ثم يستطيعون بعد ذلك تكذيب القرآن والمفسرين . وقد رأينا هذا وتعرضنا له كثيرا.

ومن هنا أحببت أن أكتب في هذا الباب وأتوسع فيه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث في هذا المجال والقراءة الأولية فيه وجدت أن الذي كتب في تكرار بعض الألفاظ في القرآن من المتقدمين الخطيب الإسكافي في كتابه درة التنزيل وغرة التأويل في الآيات المتشابهة.

ونفس هذا الاسم كتبه الشيخ إبراهيم بن علي بن محمد المعروف: بابن أبي الفرج الأردستاني رحمه الله .

وهناك كتاب ثالث كتبه الشيخ محمود بن حمزة الكرماني سماه: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان.

والرابع لبديع الزمان النورسي:موسوعة الجمال في القرآن

ولكنهم لم يتوسعوا في الشرح بحيث لا يشبع نهم الباحث المستزيد . فقد ركزوا على تنبيه الحفاظ لهذا التكرار والتشابه، ولم يزد المحققون عليهم شيئا.

وأما المتأخرون فوجت ست رسائل. أولها: التكرار اللفظي في القرآن دراسة لغوية أسلوبية. وهو في جامعة الأردن كلية الآداب رسالة ماجستير قدمها محمد محمود قاسم صالح.

والثاني : بلاغة التكرار في القرآن قدمها محمود عبد الحميد هوى. في جامعة الأزهر

والثالث: التكرار في القرآن أغراضه والحكمة منه قدمها: قدسي حسن طه صديق في جامعة السودان.

والرابع: التكرار في القرآن . قدمها سلام حيدر يس في جامعة البصرة. والأخير نسخة من الذي قبله .

والخامس: التكرار اللفظي في القرآن. قدمها : تركي بن الحسن الدهماني في جامعة محمد بن سعود .

والسادس: القرآن بين جمال التكرار اللفظي وروعة التكامل القصصي

وكل هذه الكتب والرسائل ليس فيها شيء خاص يتوقف الباحث عنده إما أنه يساعد الحفاظ ولا يريد التطويل وإما أنه يعدد فوائد التكرار تعدادا دون الغوص في أي شيء.

منهجي في الدراسة:

لم ألجأ في عملي هذا إلى التعقيد والتطويل، بل جعلته مبسطا مختصرا. معتمدا على كتب التفسير التراثية الأصيلة، واستقيت من منهلها كل ما كتبت، لأن الموضوع قديم قدم البيت الحرام. الذي صلت إليه الملائكة وأبونا آدم وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة جميعا، وكذلك صلى إليه الأنبياء وحجوا جميعا بما فيهم موسى وعيسى عليهما السلام. كما نطقت بذلك السنة النبوية (١)

ووثقت كل فكرة أخذتها منهم إلا ما كتبته من قبل نفسي . فلا أذكر لذلك مرجعا. وذلك يكون في التحليل والمناقشة.

وخرجت كل حديث من كتب السنة المعتمدة من غير تطويل. لأن هذا الموضوع لا يحتمل التطويل.

ولم ألجأ للاختلاف بين المفسرين ومناقشتهم لبعضهم . لأن هذا موضعه كتب المطولات. والله المستعان .

خطة البحث:

تتكون خطة هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد : وفيه تفسير الآيات التي فيها موضوع تحويل القبلة وأقوال العلماء باختصار

---

(١) جاء في الحديث الشريف" مَرَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ وَعَلَيْهِ عَبَاءَتَانِ قَطَوَانِيَّتَانِ تُجَاوِبُهُ صِفَاحُ الرَّوْحَاءِ وَهُوَ يَقُولُ: لَبَّيْكَ عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدَيْكَ ، وَمَرَّ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يُلَبِّي وَهُوَ يَقُولُ: لَبَّيْكَ عَبْدُكَ وَابْنُ أَمَتِكَ بِنْتِ عَبْدَيْكَ ، وَمِنْ قَبْلُ أَوْ مِنْ بَعْدُ سَبْعُونَ نَبِيًّا خَاطِمِي رَوَاحِلُهُمْ بِحِبَالِ اللِّيفِ حَتَّى صَلَّوْا فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ " أخبار مكة للفاكهي ٢٦٠١ وشعب الإيمان للبيهقي ٩٣٩٠

المبحث الأول: التكرار اللفظي الخاص ودلائله

المبحث الثاني: التكرار اللفظي العام ودلائله

المبحث الثالث: التكرار الضمني ودلائله

التمهيد

تحويل القبلة في القرآن الكريم أسلوب حواري من طرف واحد، يعرض ادّعاءات السفهاء بأقصى ما عندهم من حجج، ثم يرد عليها ويفنّدها، لكي يعرف المسلمون موقفهم القوي ويردون على تلك الادعاءات من منطلق قوي. وباديء ذي بدء نسوق الآيات التي تتناول هذا الحوار. يقول الله تعالى في سورة البقرة:

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٤٢) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣) قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤) وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ(١٤٥) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١٤٧) وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠) كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو

عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١) فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) ﴾ [البقرة: ١٤٦ - ١٥٣]

ففي الآية الأولى يقول تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ و(سيقول) هذه فعل مضارع لغة، ولكنها هنا تتناول الماضي والحاضر والمستقبل [١] فهم قد قالوا وسيقولون وسيظلوا يقولون. وقد يقال: إن هذا ليس حوارا مع السفهاء وإنما هو تعليم للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين ليكون الجواب جاهزا، بمعنى: إن قالوا فقل. [٢] ولا يمنع أيضا أن يقال: إن القرآن استبق الزمن وعلم أنهم سيقولون، فقال: سيقول السفهاء . لكن في الواقع وطريقة الحوار تقتضي أن الخصم قد قال وتأكدنا من قوله ثم بعد ذلك نحاسبه على قوله، فقد روى ذلك ابن أبي حاتم والطبري وغيرهما [٣] .

والسفهاء هم كل من يحتمل أنه يقول ذلك. فاليهود يقولون ذلك لكراهتهم التوجه إلى الكعبة، ومخالفة قبلتهم التي يدعون أنها قبلة الأنبياء. ويقوله المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وإثارة البلبلة في صفوف المسلمين. ويقوله: المشركون، لأنهم رأوه رغب عن قبلة آبائه ثم رجع إليها، ويقولون والله ليرجعن إلى دينهم . [٤]

وقوله: ﴿ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ أي ما هو الداعي لتغيير القبلة وماالذي صرفكم مرة هاهنا ومرة هاهنا، و ثالثها عوده لما كان عليه، فأجابهم : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ أي هو مالك الزمان والمكان، فقد عبر باللام المفيدة للملك وتعبيره بالمشرق والمغرب فيه اختصار

---

(١) تفسير الزمخشري (١/ ١٩٨)
(٢) تفسير الرازي (٤/ ٧٨)
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٤٧) رقم ١٣٢٣ وتفسير الطبري (٣/ ١٣٠) رقم ٢١٤٢ ورويا ذلك عن ابن عباس والحسن ومجاهد .
(٤) تفسير النسفي (١/ ١٣٦) تفسير الزمخشري (١/ ٢٢٤)

وبلاغة رائعة، لأن كلمة (المشرق) تشمل مكان الشروق وزمانه، فالقبلة مكان يُتوجه إليه في زمان معين فعبر بكلمة تشمل الاثنين معا. وبين أمرا ثالثا وهو أنه يملك القلوب ﴿ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ولا يملك ذلك غيره [١]

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ والوسط له معان ثلاثة :

أولا: الوسط هو الشيء بين الشيئين أو بين الطرفين كوسط الحبل والعصى ونحو ذلك،من الأمور [٢]

ثانيا: الوسط هو الأفضل، أُمَّةً وَسَطاً أي خيارا، وقد جاء في الحوار بين ملك الروم وأبي سفيان (أَتَعْرِفُ هَذَا الرَّجُلَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَا نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قَالَ: مِنْ أَوْسَطِنَا نَسَبًا، قَالَ: فَأَيْنَ دَارُهُ مِنْ قَرْيَتِكُمْ؟ قَال: فِي وَسَطِ قَرْيَتِنَا) [٣] وإنما قيل: للخير والأفضل وسط لأنّ الأطراف يتسارع إليها الخلل، والأعوار والأوساط محمية محوّطة، كقول الشاعر:

كَانَتْ هِيَ الْوَسَطَ المَحْمِيَّ فَاكْتَنَفَتْ بِهَا الْحَوَادِثُ حَتَّى أَصْبَحَتْ طَرَفَا [٤] وقال الله تعالى ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ أي أخيرهم وأعدلهم، قال زهير:

هُمُ وسَطٌ ترضى الأنام لحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

(١) تفسير ابن عطية (١/ ٢١٨) زاد المسير (١/ ١١٨) هم اليه
(٢) تفسير الرازي (٤/ ٨٣)
(٣) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٢٢٣) ٢٤٧٩ وأصله في البخاري ٧ ومسلم ١٧٧٣
(٤) تفسير الزمخشري (١/ ١٩٨– ١٩٩) والأعوار جمع عورة والعورة محمية دائما. تفسير الثعلبي (٢/ ٨)

ثالثا: وسطا شهداء عدولا، فتقبل شهادتكم على الناس، في الدنيا بعزكم وحكمتكم، وفي الآخرة بتفضيل الله إياكم، فقد روي: أنّ الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء، فيطالب اللّه الأنبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم، فيؤتى بأمّة محمد صلى اللّه عليه وسلم فيشهدون، فتقول الأمم: من أين عرفتم؟ فيقولون علمنا ذلك بإخبار اللّه في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد صلى اللّه عليه وسلم فيسأل عن حال أمته، فيزكيهم ويشهد بعد التهم، وذلك قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً﴾ (١)

فهي أمة وسط بكل معاني الوسط سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه المادي الحسي.

وهي أمة وسط في التصور والاعتقاد ، لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي. إنما تتبع الفطرة الممثلة في روح متلبس بجسد، أو جسد تتلبس به روح. وتعطي لهذا الكيان المزدوج الطاقات حقه المتكامل من كل زاد، وتعمل لترقية الحياة ورفعها في الوقت الذي تعمل فيه على حفظ الحياة وامتدادها، وتطلق كل نشاط في عالم الأشواق وعـــالم النوازع، بلا تفريط ولا إفراط، في قصد وتناسق واعتدال. (٢)

أي لتوسطهم في الدين، فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه، غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه – ولا هُم أهلُ تقصير فيه، تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله، وقتلوا أنبياءَهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها . (٣)

---

(١) أخرجه عبد بن حميد ٩١٣ وأحمد ١١٥٥٨ والبخاري ٣٣٣٩ والترمذي ٢٩٦١ والنسائى فى الكبرى ١١٠٠٧ وابن ماجه ٤٢٨٤. وابن حبان ٦٤٧٧

(٢) تفسير القرطبي (٢/ ١٥٣) تفسير البيضاوي (١/ ١١٠)

(٣) تفسير الطبري (٣/ ١٤١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري (١/ ١٣٢)

وهي أمة وسط في التفكير والشعور.. لا تجمد على ما علمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة ولا تتبع كذلك كل ناعق، وتقلد تقليد القردة المضحك.. إنما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب، وشعارها الدائم: الحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها، في تثبت ويقين. (١)

وهي أمة وسط في التنظيم والتنسيق، لا تدع الحياة كلها للمشاعر والضمائر، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب. إنما ترفع ضمائر البشر بالتوجيه والتهذيب، وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب وتزاوج بين هذه وتلك، فلا تكل الناس إلى سوط السلطان، ولا تكلهم كذلك إلى وحي الوجدان، ولكن مزاج من هذا وذاك. (٢)

وهي أمة وسط في الارتباطات والعلاقات، لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته، ولا تلاشي شخصيته في شخصية الجماعة أو الدولة، ولا تطلقه كذلك فرداً أثراً جشعاً لا هم له إلا ذاته، إنما تطلق من الدوافع والطاقات ما يؤدي إلى الحركة والنماء وتطلق من النوازع والخصائص ما يحقق شخصية الفرد وكيانه. ثم تضع من الكوابح ما يقف دون الغلو، ومن المنشطات ما يثير رغبة الفرد في خدمة الجماعة وتقرر من التكاليف والواجبات ما يجعل الفرد خادماً للجماعة، والجماعة كافلة للفرد في تناسق واتساق. (٣)

وهي أمة وسط في المكان، في سرة الأرض، وفي أوسط بقاعها وأكرمها. (٤) وما تزال هذه الأمة التي غمر أرضها الإسلام إلى هذه اللحظة هي الأمة التي تتوسط أقطار الأرض بين شرق وغرب، وجنوب وشمال، وما تزال بموقعها هذا تشهد الناس جميعاً، وتشهد على الناس جميعاً وتعطي ما عندها لأهل الأرض قاطبة وعن

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي (١/ ٢٢٤)
(٢) تفسير السمعاني (١/ ١٤٩)
(٣) تفسير البغوي – إحياء التراث (١/ ١٧٤)
(٤) تفسير الرازي (١/ ٢١٨)

طريقها تعبر ثمار الطبيعة وثمار الروح والفكر من هنا إلى هناك، وتتحكم في هذه الحركة ماديها ومعنويها على السواء.

وهي أمة وسط في الزمان، تنهي عهد طفولة البشرية من قبلها وتحرس عهد الرشد العقلي من بعدها. وتقف في الوسط تنفض عن البشرية ما علق بها من أوهام وخرافات من عهد طفولتها وتصدها عن الفتنة بالعقل والهوى، وتزاوج بين تراثها الروحي من عهود الرسالات، ورصيدها العقلي المستمر في النماء وتسير بها على الصراط السوي بين هذا وذاك. (١)

هم الوسط العدول وهم الشهداء على الناس في الدنيا والآخرة. روي عَن جَابر قال: شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة في بني سلمة وكنت إلى جانبه فقال بعضهم : والله يا رسول الله لنعم المرء كان لقد كان عفيفا مسلما وأثنوا عليه خيرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أنت الذي تقول" فقال : يا رسول الله بدا لنا والله أعلم بالسرائر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وجبت" قال : وكنا معه في جنازة رجل من بني حارثة أو من بني عبد الأشهل فقال رجل : بئس المرء ما علمنا إن كان لفظًا غليظا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أنت الذي تقول" فقال : يا رسول الله الله أعلم بالسرائر فأما الذي بدا لنا منه فذاك ، فقال : "وجبت" ثم تلا رسول الله ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس﴾. (٢)

وفي روية عند الطيالسي وأحمد والبخاري ومسلم والنسائي عن أنس قال : مروا بجنازة فأثني عليه خير فقال النَّبيّ صلى الله عليه وسلم "وجبت وجبت وجيت" ومر بجنازة فأثني عليه بشرٍ فقال النَّبيّ صلى الله عليه وسلم : "وجبت وجبت" فسأله

(١) تفسير الطبري (٣/ ١٤٢) .في ظلال القرآن (١/ ١٣١)
(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣٠٦١ والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٢/ ٢٠)

عمر ، فقال : "من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض ، زاد الحكيم الترمذي ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس﴾.(١)

وفي رواية أخرى عند ابن أبي شيبة وأحمد والبخاري والترمذي والنسائي عن عمر ، أنه مرت به جنازة فأثني على صاحبها خير فقال : وجبت وجبت ثم مر بأخرى فأثني شر فقال عمر : وجبت ، فقال أبو الأسود : وما وجبت قال : قلت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدله الله الجنة، فقلنا : وثلاثة ، فقال "وثلاثة" فقلنا : واثنان؟ فقال : "واثنان" ولم نسأله عن الواحد. (٢)

وقد تكون هذه الشهادة بشائرها في الدنيا كما روي عن أبي زهير الثقفي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "يوشك أن تعلموا خياركم من شراركم" قال : بم يـــــا رسول الله قال:" بالثناء الحسن والثناء السيء أنتم شهداء الله في الأرض " (٣)

وأعظم من هذا بكثير حيث تكون على العوالم كلها. فقد أخرج ابن المبارك في الزهد وَابن جَرِير عن حبان بن أبي جبلة يسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) أخرجه الطيالسي (٢٣٨٨) وعبد بن حميد (ص ١٦٤ ، رقم ٤٤٢) وابن أبى شيبة (٤١١/٧ ، رقم ٣٦٩٦٠) ، وأحمد (٤٦٦/٦ ، رقم ٢٧٦٨٦) والبخاري (٢٥٧٢) و (٥٤٨٩) وسلم (٢/ ٦٥٥) رقم ٩٤٩ ، وأبو داود (٣٢٣٣) وابن ماجه (١٤١١/٢ ، رقم ٤٢٢١) والطبرانى (١٧٨/٢٠ ، رقم ٣٨٢) ، والحاكم (٢٠٧/١ ، رقم ٤١٣) وأخرجه أيضًا : وابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى (٢٤١/٣ ، رقم ١٦٠٢) والبيهقى (١٢٣/١٠ ، رقم ٢٠١٧٧) .

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة (٤٧/٣ ، رقم ١١٩٩٦) ، أحمد (٢١/١ ، رقم ١٣٩) ، والبخارى (٤٦٠/١ ، رقم ١٣٠٢) ، والنسائى فى الكبرى (٦٢٩/١ ، رقم ٢٠٦١) ، وابن حبان (٢٩٧/٧ ، رقم ٣٠٢٨) . وأبو يعلى (١٣٥/١ ، رقم ١٤٥) ، والبيهقى (٧٥/٤ ، رقم ٦٩٧٨) .

(٣) أخرجه عبد بن حميد (ص ١٦٤ ، رقم ٤٤٢) وابن أبى شيبة (٤١١/٧ ، رقم ٣٦٩٦٠) وأحمد (٤٦٦/٦ ، رقم ٢٧٦٨٦) ، وابن ماجه (١٤١١/٢ ، رقم ٤٢٢١) قال البوصيرى (٢٤١/٤) : إسناده صحيح ورجاله ثقات .، والطبرانى (١٧٨/٢٠ ، رقم ٣٨٢) ، والحاكم (٢٠٧/١ ، رقم ٤١٣) وقال : صحيح الإسناد .

قال " إذا جمع الله عباده يوم القيامة كان أول من يدعى اسرافيل فيقول له ربه : ما فعلت في عهدي هل بلغت عهدي فيقول : نعم رب قد بلغته جبريل ، فيدعى جبريل فيقال : هل بلغك اسرافيل عهدي فيقول : نعم ، فيخلى عن اسرافيل ويقول لجبريل : هل بلغت عهدي فيقول : نعم قد بلغت الرسل فتدعى الرسل فيقال لهم : هل بلغكم جبريل عهدي فيقولون : نعم ، فيخلى جبريل ثم يقال للرسل : هل بلغتم عهدي فيقولون : نعم بلغناه الأمم ، فتدعى الأمم فيقال لهم : هل بلغتكم الرسل عهدي فمنهم المكذب ومنهم المصدق ، فتقول الرسل : إن لنا عليهم شهداء ، فيقول : من فيقولون : أمة محمد ، فتدعى أمة محمد فيقال لهم : أتشهدون أن الرسل قد بلغت الأمم فيقولون : نعم ، فتقول الأمم : يا ربنا كيف يشهد علينا من لم يدركنا فيقول الله : كيف تشهدون عليهم ولم تدركوهم فيقولون : يا ربنا أرسلت إلينا رسولا وأنزلت علينا كتابا وقصصت علينا فيه أن قد بلغوا فنشهد بما عهدت إلينا ، فيقول الرب : صدقوا فذلك قوله ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ والوسط العدل ﴿لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾.(١)

وقوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ هذا أول الحجج التي يبينها رب العزة لعباده المؤمنين الذين كانوا يصلون إلى المسجد الحرام ثم وجهوا إلى المسجد الأقصى ثم أعيدوا إلى المسجد الحرام، فهو اختبار علني لهم، وقد نجح الصحابة نجاحا عظيما في هذا الاختبار. حيث جاء في صحيح مسلم عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: بَيْنَمَا النَّاسُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ بِقُبَاءٍ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ: إِنَّ

(١) الأهوال لابن أبي الدنيا (ص: ١٦١) رقم ١٩٥

رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ، فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ (١)

وفي رواية أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، في المدينة فَنَزَلَتْ: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤] فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَقَدْ صَلَّوْا رَكْعَةً، فَنَادَى: أَلَا إِنَّ الْقِبْلَةَ قَدْ حُوِّلَتْ، فَمَالُوا كَمَا هُمْ نَحْوَ الْقِبْلَةِ. (٢)

فالصحابة هم الأخيار الذين اختارهم الله لصحبة نبيه، كانوا مستسلمين كل الاستسلام لأحكام الله حتى لو كان الأمر في البدهيات، كما قال لهم " أي بلد هذا أي عام هذا أي شهر هذا " فقالوا: الله ورسوله أعلم فقال " أليس هذا هو البلد الحرام والشهر الحرام واليوم الحرام " قالوا : بلى. ثم يقول الراوي: سكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. (٣) فهم مستعدون للطاعة حتى ولو في تغيير تاريخهم وأسمائهم. وبرهنوا على هذه الطاعة بآلاف الأدلة، ويفتخرون بذلك (٤)

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٣٧٥) رقم ٥٢٦

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٧٥) رقم ٥٢٧ وابن أبي شيبة ٣٣٧٢ وأحمد ١٤٠٣٤ وأبو داود ١٠٤٥ والنسائي في الكبرى ١١٠٠٨ وأبو يعلى ٣٨٢٦ وابن خزيمة في صحيحه ٤٣٠ والبزار ٧٣٣٥

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ١٧٦) رقم ١٧٤١ ومسلم (١٣٠٥/٣ ، رقم ١٦٧٩) ، وأبو داود (١٩٥/٢ ، رقم ١٩٤٧) وأحمد ٢٠٣٨٦ وابن حبان (٣١٢/١٣ ، رقم ٥٩٧٤) .

(٤) ينظر كم من الصحابة كان يقول: سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم. أو يقول: كناني النبي صلى الله عليه وسلم. روى أحمد ١٧٨٩٦ عن محمد بن طلحة : سماني رسول الله محمدا. وعند أحمد أيضا ٢١٩٢٨ : سَمَّانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَفِينَةَ . وفي الكنى للدولابي ٧٢ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: كَانَ اسْمِي عَبْدَ عَمْرٍو فَلَمَّا أَسْلَمْتُ سَمَّانِي رَسُولُ اللَّهِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ. وفي المستدرك ٥٦٠٥ : سَمَّانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ طَلْحَةَ الْخَيْرِ. وعند الحميدي ٨٩٣ وابن أبي شيبة ٦٨٩ وأحمد ١٦٤٠٤عن يوسف بن سلام: سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوسف. وهذه صحابية جَاءَتْ بابنها إِلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَلَيْهِ تَمِيمَةٌ، فَقطعَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَمِيمَتَهُ وَقَالَ: «مَا اسْمُ ابْنِكِ؟» . فَقالت: اسْمُهُ السَّائِبُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بَلِ اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ» : فَقُلْتُ: أَتُجِيبُ بِكُلِّهِمَا؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أُجِيبُ إِلَّا عَلَى اسْمِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي سَمَّانِي . الجامع لابن وهب ٨٣ .
وعند أحمد ١٢٢٨٦ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَنَّانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَقْلَةٍ كُنْتُ أَجْتَنِيهَا. أي أبو حمزة .
وعند أحمد ١٨٩٤٢ أيضا عن صيب : كناني رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَبِي يحيى . وهكذا كثير .

والأمر عظيم فلو أريدت أمة على تغيير قبلتها وبلدها ودين أجدادها لما فعلت، ولكن هذه الأمة كأبيها العظيم الذي قَالَ: ﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ قال المفسرون: إنه عنى بالإيمان الصلاة. وأن الصحابة تساءلوا عن صلاة من مات من إخوانهم فنزلت الآية. (١) ولكن لا بد لنا أن نذكر الحكمة من جعل الكعبة قبلة للمسلمين

أما تعيين القبلة في الصلاة فقد ذكروا فيه أسرارا وحكماً :

أحدها: أن الله تعالى خلق في الإنسان قوة عقلية مدركة للمجردات والمعقولات وقوة خيالية متصرفة في عالم الأجساد، وقلما تنفكّ القوة العقلية عن مقارنة القوة الخيالية ومصاحبتها، فإذا أراد الإنسان استحضار أمر عقلي مجرد وجب أن يضع له صورة خيالية يحسبها حتى تكون تلك الصورة الخيالية معينة على إدراك تلك المعاني العقلية، ولذلك فإن المهندس إذا أراد إدراك حكم من أحكام المقادير وضع له صورة معينة وشكلاً معيناً ليصير الحس والخيال معينين للعقل على إدراك ذلك الحكم الكلي، ولما كان العبد الضعيف إذا وصل إلى مجلس الملك العظيم فإنه لا بد وأن يستقبله بوجهه وأن لا يكون معرضاً عنه وأن يبالغ في الثناء عليه بلسانه ويبالغ في الخدمة والتضرع له، فاستقبال القبلة في الصلاة يجري مجرى كونه مستقبلاً للملك، لا

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ١٦٧) ٢٢١٩ عن ابن عباس قال: لما وُجِّه رَسوله الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قالوا: كيف بمن ماتَ من إخواننا قبل ذلك، وهم يصلون نحو بيت المقدس؟ فأنزل الله جل ثناؤه:﴿ وما كانَ الله ليضيعَ إيمانكم﴾.

وعند البخاري (١/ ١٧) ٤٠ عَنِ البَرَاءِ فِي حَدِيثِهِ هَذَا: أَنَّهُ مَاتَ عَلَى القِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا، فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ أخرجه الطيالسي ٢٦٧٣ وأحمد ٢٦٩١ والدارمي (١٢٣٥) والطبراني (١١٧٢٩) وأبو داود (٤٦٨٠) وسعيد بن منصور في التفسير (٢/ ٦٢٦) ٢٢٥

معرضاً عنه، والقراءة والتسبيحات تجري مجرى الثناء عليه، والركوع والسجود يجري مجرى الخدمة، ومع هذا فهي من أوامر الله تعالى [١]

وثانيها: أن المقصود من الصلاة حضور القلب، وهذا الحضور لا يحصل إلا مع السكون وترك الالتفات والحركة، وهذا لا يتأتى إلا إذا بقي في جميع صلاته مستقبلاً لجهة واحدة على التعيين، فإذا اختص بعض الجهات بمزيد شرف في الأوهام كان استقبال تلك الجهة أولى [٢]

وثالثها: أن الله تعالى يحب الموافقة والألفة بين المؤمنين وقد ذكر المنة بها عليهم حيث قال ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] ولو توجه كل واحد في صلاته إلى ناحية أخرى لكان ذلك يوهم اختلافاً ظاهراً، فعين الله تعالى لهم جهة معلومة وأمرهم جميعاً بالتوجه نحوها، ليحصل لهم الموافقة بسبب ذلك. وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يحب الموافقة بين عباده في أعمال الخير [٣]

ورابعها: أن الله تعالى خص الكعبة بإضافتها إليه في قوله (بَيْتِى) وخص المؤمنين باضافتهم بصفة العبودية إليه، وكلتا الإضافتين للتخصيص والتكريم، فكأنه تعالى قال: يا مؤمن أنت عبدي والكعبة بيتي والصلاة خدمتي فأقبل بوجهك في خدمتي إلى بيتي وبقلبك إلي [٤]

وخامسها: قال بعض المشايخ: إن اليهود استقبلوا القبلة لأن النداء لموسى عليه السلام جاء منه وذلك قوله ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِىِّ﴾ (القصص ٤٤) والنصارى استقبلوا المغرب لأن جبريل عليه السلام إنما ذهب إلى مريم عليها السلام من جانب

(١) تفسير الرازي (٤/ ٨٦)
(٢) تفسير الرازي (٤/ ٨٦)
(٣) تفسير الرازي (٤/ ٨٦)
(٤) تفسير الرازي (٤/ ٨٦)

المشرق لقوله تعالى ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِياً﴾ (مريم ١٦) والمؤمنون استقبلوا الكعبة لأنها قبلة خليل الله ومولد حبيب الله وهي موضع حرم الله. وكان بعضهم يقول: استقبلت النصارى مطلع الأنوار ، وقد استقبلنا مطلع سيد الأنوار وهو محمد صلى الله عليه وسلم، فمن نوره خلقت الأنوار جميعاً [١]

وسادسها: قالوا الكعبة سرة الأرض ووسطها فأمر الله تعالى جميع خلقه بالتوجه إلى وسط الأرض في صلاتهم، وهو إشارة إلى أنه يجب العدل في كل شيء ولأجله جعل وسط الأرض قبلة للخلق [٢]

وسابعها: أنه تعالى أظهر حبه لمحمد عليه الصلاة والسلام بواسطة أمره باستقبال الكعبة وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام كان يتمنى ذلك مدة لأجل مخالفة اليهود فأنزل الله تعالى ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ وفي الشاهد إذا وصف واحد من الناس بمحبة آخر قالوا: فلان يحول القبلة لأجل فلان على جهة التمثيل، فالله تعالى قد حول القبلة لأجل حبيبه محمد عليه الصلاة والسلام على جهة التحقيق، وقال ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ ولم يقل قبلة أرضاها، والإشارة فيه كأنه تعالى قال: يا محمد كل أحد يطلب رضاي وأنا أطلب رضاك في الدارين، أما في الدنيا فهذا الذي ذكرناه وأما في الآخرة فقوله تعالى﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (الضحى ٥) وفيه إشارة أيضاً إلى شرف الفقراء ﴿ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنعام ٥٢) وقال في الإعراض عن القبلة ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فكأنه تعالى قال الكعبة قبلة وجهك والفقراء قبلة رحمتي فإعراضك عن قبلة وجهك يوجب كونك ظالماً فالإعراض عن قبلة رحمتي كيف يكون [٣]

---

(١) تفسير الرازي (٤/ ٨٦)
(٢) تفسير الرازي (٤/ ٨٦)
(٣) تفسير الرازي (٤/ ٨٦)

وثامنها: العرش قبلة الحملة والكرسي قبلة البررة والبيت المعمور قبلة السفرة والكعبة قبلة المؤمنين والحق قبلة المتحيرين من المؤمنين قال الله تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ وثبت أن العرش مخلوق من النور والكرسي من الدر والبيت المعمور من الياقوت والكعبة من جبال خمسة من طور سينا وطور زيتا والجودي ولبنان وحراء والإشارة فيه كأن الله تعالى يقول إن كانت عليك ذنوب بمثقال هذه الجبال فأتيت الكعبة حاجاً أو توجهت نحوها مصلياً كفرتها عنك وغفرتها لك. فهذا جملة الوجوه المذكورة في هذا الباب. والتحقيق هو الأول [١]

ومما يجب الإشارة إليه تحديد وقت تحويل القبلة، فقد قال ابن عباس رضي الله عنه: صرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة في رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة بن قيس وقردم بن عمرو وكعب بن الأشرف ونافع بن نافع والحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف والربيع بن أبي الحقيق وكنانة بن أبي الحقيق فقالوا له : يا محمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك. وإنما يريدون فتنته عن دينه ، فأنزل الله ﴿سيقول السفهاء من الناس﴾ إلى قوله ﴿إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾ أي ابتلاء واختبارا ﴿وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله﴾ أي الذين ثبتهم الله . ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ يقول : صلاتكم بالقبلة الأولى وتصديقكم نبيكم وإتباعكم إياه إلى القبلة الآخرة أي ليعطينكم أجرهما جميعا ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ إلى قوله ﴿ فلا تكونن من الممترين﴾.[٢]

(١) أخرجه البخاري (١٥٣/١ ، رقم ٣٨٤ والنسائي (١٠٥/٨ ، رقم ٤٩٩٧) الروياني (١٤٩/٢ ، رقم ٩٧٣) ، والطبراني (١٦٢/٢ ، رقم ١٦٦٩) والبيهقي (٣/٢ ، رقم ٢٠٣٠) .
(٢) تفسير الرازي (٤/ ٨٦) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٢/ ١٠)

وكذلك تجدر الإشارة أنهم كانوا يفتخرون بأنهم صلوا إلى القبلتين. كما روي عن أنس رضي الله عنه قال : لم يبق ممن صلى للقبلتين غيري. (١)

بل إن استقبال القبلة التي نحن عليها أصبحت عنوان الإسلام . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته ".(٢)

وَأَمَّا قوله تعالى: ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾ الآية. فقد أخرج الثعلبي والمفسرون عنه عن ابن عباس قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن سلام : قد أنزل الله على نبيه ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ فكيف يا عبد الله هذه المعرفة فقال عبد الله بن سلام : يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني إذا رأيته مع الصبيان وأنا أشد معرفة بمحمد مني بابني فقال عمر : كيف ذلك قال : إنه رسول الله حق من الله وقد نعته الله في كتابنا ولا أدري ما تصنع النساء ، فقال له عمر : وفقك الله يا ابن سلام. (٣)

أما قوله ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ يفيد أن هذا الكلام تقدمه جدال - كما بينا قبل قليل - من قبل في باب القبلة عن القوم فأراد الله تعالى أن يبين أن تلك الحجة تزول الآن باستقبال الكعبة، وفي كيفية تلك الحجة روايات:

أحدها: أن اليهود قالوا تخالفنا في ديننا وتتبع قبلتنا .

وثانيها: قالوا: ألم يدر محمد أين يتوجه في صلاته حتى هديناه

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٣٣) رقم ٤٢١٩ و الدر المنثور (٢/ ٢٥)
(٢) تفسير الرازي (٤/ ٨٦)
(٣) تفسير الثعلبي (٢/ ١٣) تفسير البغوي (١/ ١٦٤) البحر المحيط (٢/ ٣٣) اللباب في علوم الكتاب (٨/ ٦٨) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٢/ ٣٤)

وثالثها: أن العرب قالوا إنه كان يقول أنا على دين إبراهيم والآن ترك التوجه إلى الكعبة، ومن ترك التوجه إلى الكعبة فقد ترك دين إبراهيم عليه السلام؟ فصارت هذه الوجوه وسائل لهم إلى الطعن في شرعه عليه الصلاة والسلام. إلا أن الله تعالى لما علم أن الصلاح في ذلك أوجب عليهم التوجه إلى بيت المقدس لما فيه من المصلحة في الدين. لأن قولهم لا يؤثر في المصالح. وقد بينا من قبل تلك المصلحة وهي تميز من اتبعه بمكة ممن أقام على تكذيبه، فإن ذلك الامتياز ما كان يظهر إلا بهذا الجنس ولما انتقل عليه الصلاة والسلام إلى المدينة تغيرت المصلحة فاقتضت الحكمة تحويل القبلة إلى الكعبة. فلهذا قال الله تعالى ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ يعني تلك الشبهة التي ذكروها تزول بسبب هذا التحويل. ولما كان فيهم من المعلوم من حاله أنه يتعلق عند هذا التحويل بشبهة أخرى وهو قول بعض العرب إن محمداً عليه الصلاة والسلام عاد إلى ديننا في الكعبة وسيعود إلى ديننا بالكلية، وكان التمسك بهذه الشبهة والاستمرار عليها سبباً للبقاء على الجهل والكفر. وذلك ظلم على [١]

وأما قوله تعالى : ﴿فاذكروني أذكركم وأشكروا لي ولا تكفرون﴾ .

فهذه هي الجائزة بعد الطاعة يفسرها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل فقال: " يقول الله : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة" [٢].

---

(١) تفسير الرازي (٤/ ٨٦)

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة (٦١/٦ ، رقم ٢٩٤٧٩) وأحمد (٤١٣/٢ ، رقم ٩٣٤٠) ، والبخارى (٢٦٩٤/٦ ، ٦٩٧٠) ، ومسلم (٢٠٦١/٤ ، رقم ٢٦٧٥) ، والترمذى (٥٨١/٥ ، رقم ٣٦٠٣) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (١٢٥٥/٢ ، رقم ٣٨٢٢) ، وابن حبان (٩٣/٣ ، رقم ٨١١) .

وفي رواية أيضا" إن الله عز وجل يقول : " أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه ".[١]

وشكر الله لايكلف كثيرا فقد يكفي ذلك حمدا أوشكرا أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من قال حين يصبح : اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته". [٢]

وعندما نأتي لألفاظ القرآن المتحدثة عن تحويل القبلة نجد أن فيها تكرارا من وجوه متعددة. فمنها ألفاظ خاصة تكررت وهي نص في الموضوع، وألفاظ عامة تكررت لها علاقة في الموضوع، وألفاظ ضمنية تكررت تساعد في فهم القضية، وفيها بلاغة عالية أعطت الموضوع ثراء تجعله في قمة القضايا التي تحدث عنها القرآن.

ولكل وجه له مبحثه الخاص

المبحث الأول: التكرار اللفظي العام ودلائله

المبحث الثاني: التكرار اللفظي الخاص ودلائله

المبحث الثالث: التكرار الضمني ودلائله

---

(١) أخرجه أحمد (٥٤٠/٢ ، رقم ١٠٩٨٩) ،والبخاري معلقا قبل الرقم ٧٥٢٤ وابن ماجه (١٢٤٦/٢ ، رقم ٣٧٩٢) وحسنه البوصيرى (١٢٧/٤) وابن حبان (٩٧/٣ رقم ٨١٥) والحاكم (٦٧٣/١ ، رقم ١٨٢٤) ، وقال : صحيح الإسناد .

(٢) أخرجه أبو داود (٣١٨/٤ ، رقم ٥٠٧٣) ،. وأخرجه أيضًا : النسائى فى الكبرى (٥/٦ ، رقم ٩٨٣٥) . وابن حبان (٣/ ١٤٢) رقم ٨٦١ وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ١٨٣) ٢١٦٣ والبيهقى فى شعب الإيمان (٨٩/٤ ، رقم ٤٣٦٨)

المبحث الأول

التكرار اللفظي العام ودلائله

من خلال قراءتنا المتأنية لهذه الآيات التي تتكلم عن تحويل القبلة نجد أن بعض الألفاظ تتكلم بشكل عام عن التحويل مثل ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ ﴾ و ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ ﴾ و﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾

ومنها ما يتكلم بشكل خاص ومباشر، مثل ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ ﴾ في كل الآيات .

ومنها ما هو ضمني تبعي يدخل في دائرة السياق مثل ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ و﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ وقوله ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ وقوله ﴿ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾

ولكن الله تعالى ابتدأ أولا بالألفاظ العامة فنبدأ بما بدأ به، على أن الابتداء بهذه الألفاظ العامة له وقع كبير جدا في ابتداء الموضوع .

يقول تعالى: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

﴿ سيقول السفهاء﴾ يعني: تحولت القبلة وحصل الأمر، فما عساكم فاعلون ؟ ما أنتم إلا سفهاء ! فهو كلام متأخر أريد به التقديم، وهذه بلاغة لا يقدر عليها إلا الذي يتحكم فيما كان ويكون . وكأنه قال: قال السفهاء ما ولاهم عن قبلتهم وقد حولناها لأجل تقلب وجهك في السماء ورغبتك في عودتك لقبلة أبيك إبراهيم وقبلة أجدادك ومرتع طفولتك ومدرج شبابك، وهذا أحسن من ادّعاء تقدم النزول، صحيح أنه منقول عن بعض العلماء [١] لكن النظر في البلاغة ووجوهها أفضل.

(١) تفسير القرطبي (٢/ ١٥٨) والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/ ١٢٥)

فإذا اعتبرنا (سيقول السفهاء) إيذانا بتحويل القبلة وهو واضح تماما فالحديث واضح عن الأمر وتنفيذه وتعليله والدفاع عنه،

أولا: سيقول السفهاء من الناس. سماهم سفهاء وأنهم من سفلة الناس لا يعتبر بقولهم ولا يسمع منهم رأي، ولم يلتفت إلى وجودهم أصلا، فقد حولناها دون اعتبار لهم ولا لتاريخهم يهودا ومشركين ومنافقين. (١)

ثانيا: ما ولاهم. يبين أنهم تحولوا وتم التنفيذ ولم يلتفت إليكم وأنكم لا تستطيعون فعل شيء ولا التأثير على الحكم الذي أصدرناه. ولن نقبل منكم اعتراضا ولا تعقيبا لأنكم لا تساوون عند الله شيئا. وهذه قاعدة أصلية وضعت ليتشبث بها المسلمون، ولا يسمحوا لأي أحد أن يتدخل في دينهم أو دستورهم أو شؤن حياتهم، وأي لسان يتدخل أو يعترض أو يعقب فيجب أن يقطع . لا أن يكونوا شركاء على طاولة المفاوضات.

ثالثا: عن قبلتهم التي كانوا عليها. يدل على تعظيم القبلتين: مكة في التوجه الأول ثم المسجد الأقصى في التوجه الثاني، وزيادة التعظيم في عودة التوجه، وأن المسجد الحرام هو الأصل، لأنه قبلة سيدنا إبراهيم وهو أبو الأنبياء جميعا، وأن التوجه إلى المسجد الأقصى كان محطة مؤقتة ريثما تصلح الأمور ويتعود المسلمون على الطاعة في ترك أغلى ما عندهم. ثم تعود الأمور كما كانت.

رابعا: قل لله المشرق والمغرب. يبين أنه المالك لهذا الكون كله يفعل ما يشاء ويختار من الأماكن ما يشاء وهو الأعلم بأفضلها وأصلحها.

خامسا: يهدي من يشاء. يبين بأنه المالك لقلوب العباد ،وهو القهار الذي يتصرف بهم كيف يشاء ، وإذا قضى فلا راد لقضائه. وإن حكم ف ﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد: ٤١] لا يخشى أحدا ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس: ١٥] وإذا أراد فإنه يسلب من

(١) تفسير الطبري (٣/ ١٢٩)

أصحاب الإرادة إرادتهم. ومن أصحاب العقول عقولهم، كما قال تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤]

سادسا: إلى صراط مستقيم . يبين أن التوجه إلى المسجد الحرام أمره. وطريقه هو الصراط المستقيم، فمن حاد عنه ضل وغوى .

فهذه أمور ستة تحدثت عنها الآية الأولى في موضوعنا هذا. ولا يمكن تجاهلها. بل هي أصل الكلام.

وقوله تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣]

هذه الآية فيها ألفاظ عامة يستمر فيها الحديث عن تحويل القبلة، لكن فيها التفات إلى المسلمين. توجه لهم توجيهات عامة تتقدمها مقدمة عظيمة لا يستطيع البلغاء أن يجاروها، ولا يملكون مفرداتها، لأن الفضل بيد الله هو الذي يبين درجات الأمم، لا سفلة الأمم الذين يدعون أنهم شعب الله المختار. فقبل أن يوجه ويحذر يقول لهذه الأمة المحمدية: أنتم خير الأمم وأوسطها وأفضلها وأنتم بحق ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وليست أفضليتهم مجرد تفضيل بل أنتم شهداء عليهم في الدنيا ببيان الحق وحمله والدفاع عنه، وهي الوظيفة الحقيقة لهم، لأنهم يتبعون دين الحق وبحمونه، ويحملون القرآن الذي أبى التغيير على مر العصور متحديا جميع البشر والكائنات: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وستظل هذه الأمة شاهدة على ذلك.

وهم شهداء على الناس في الآخرة يوم تنكر الأمم تبليغ الرسل. فتطلب شهادتهم فيؤدونها لأنهم مُزَكَّون من قبل نبيهم العدل الأمين والشاهد الصادق عليهم وعلى الأمم كلها. كما قلنا في المقدمة .

وبعد هذا الثناء العظيم – وآهٍ لو تعرف الأمة مكانتها – يوجههم بتوجيهات خطيرة:

أولاً: أن هذا التحويل بنوعيه من تحويلٍ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم التحويل من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام إنما هو امتحان لهم ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾

ثانياً: أن تحويل القبلة أمر ثقيل وشاق ولكنكم نجحتم في الاختبار بهداية الله ورحمته ولطفه بكم فهو الذي ثبتكم. (١)

ثالثاً: أن الله لن يضيع هذه الأمة، ولن يضيع عمل مؤمن، وعبر هنا بالإيمان عن العمل لأن الإيمان قول وعمل، وهذه عقيدة المسلمين. (٢)

رابعاً: أن المسلم لا ينبغي له أن تهتز ثقته بالله فالعدالة الإلهية مقترنة بالرأفة والرحمة، لأنه هو خالق الخلق وهو أعلم بحالهم. (٣)

وقوله تعالى:

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ١٣٤٤ وتفسير السمرقندي (١/ ١٠٠) و تفسير الزمخشري (١/ ٢٠٠)
(٢) المراجع السابقة
(٣) المراجع السابقة

هذه الآية أيضا تدل بالعموم على تحويل القبلة، لأن النهي عن اتباع قبلة الغير أمر بالتمسك بقبلته، لكن استعمل أسلوبا بلاغيا معجزا – وكل القرآن معجز – فقال هنا:

أولا: يقول تعالى: أنا حولت القبلة التي تريدها فتمسك بها، ولا تلتفت للسفهاء من اليهود والنصارى والمنافقين والمشركين لأنهم لن يؤمنوا جميعا [١] فمجادلتهم لا تأتي بفائدة، لأنهم ليسو جهلة وإنما هم معاندون. وهم يعلمون أنه الحق من ربهم . وكما قال تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:١٣- ١٤]

ثانيا: أنه من المستحيل أن تتغير عن قبلتك لعلم الله بذلك، وإنما قال: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾ تيئيساً لهم وقطعا لأطماعهم بأن يميل إليهم .

ثالثا: يقول له أيضا: اثبت على قبلتك لأنهم جميعا لا قبلة لهم في الحقيقة، فاليهود يتجهون لبيت المقدس لا للعبادة فهم لا دين لهم وكذا النصارى، لأنهم يعلمون أن قبلتك على حق وقد قرأوا ذلك في كتبهم، والمشركون لا يعرفون شيئا عن دين إبراهيم عليه السلام، والمنافقون مذبذبون بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

رابعا: احذروا أيها المسلمون بعد ثبات قبلتكم وثباتكم عليها، وبعد علمكم أن دينكم خير الأديان وقبلتكم أفضل بقعة على وجه الأرض أن تتبعوا أهواء هؤلاء السفهاء الذين لا يهمهم دينهم ، بل يهمهم أن يشككوكم في دينكم . [٢]

---

(١) المقصود بهذا إيمان جميعهم، فلا يمتنع إيمان البعض. ومادام هذا معلوما فلا يتناوله الموضوع. تفسير الماوردي (١/ ٢٠٤)

(٢) قال الرازي :إِنَّ ظَاهِرَ الْخِطَابِ وَإِنْ كَانَ مَعَ الرَّسُولِ إِلَّا أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ غَيْرُهُ. وقال أيضا: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ ليس المراد منه أنه اتَّبَعَ أَهْوَاءَهُمْ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَلَعَلَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ يَتَّبِعُ أَهْوَاءَهُمْ، مِثْلُ تَرْكِ الْمُخَاشَنَةِ فِي الْقَوْلِ وَالْغِلْظَةِ فِي الْكَلَامِ، طَمَعًا مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي اسْتِمَالَتِهِمْ، فَنَهَاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ الْقَدْرِ أَيْضًا وَآيَسَهُ مِنْهُمْ بِالْكُلِّيَّةِ عَلَى مَا قَالَ: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا﴾ [الْإِسْرَاءِ: ٧٤] . تفسير الرازي (٤/ ١١٠)

وهذا كله بعمومه تكرار للحديث عن تحويل القبلة، حشدا للأدلة على ما سوف يقوله بشكل خاص، فهو تثبيت للمسلمين وتعليم لهم .

دلائل التكرار اللفظي العام:

في داخل سياق هذا الموضوع كرر القرآن كلمة القبلة ست مرات وكرر كلمة المسجد ثلاث مرات وضميره ثلاث مرات وكل هذا مع السياق العام له دلائل كثيرة:

أولا: قطع حجج السفهاء. وهذا شيء مهم جدا في تعليم المسلمين وتقوية إيمانهم، فلا تجد دينا على وجه الأرض تستقيم حجته على أصول دينه، فلا أحد يفهم مثلا لماذا يعبد البوذيون بوذا ولا ما تفرع عنها من أديان، ولاهم يستطيعون أن يجادلوا في ذلك لكي يتعرف الناس على دينهم، بل هم يحيطون ديانتهم بالغموض، وكذلك اليهود لا أحد يعرف لماذا نسب اليهود عزيرا إلى الله تعالى وقالوا هو ابن الله، ولا النصارى يستطيعون إثبات عبادة التثليث عندهم ولا تستقيم لهم حجة لفهمهم الخاطيء عن الذات الإلهية، وأعني فهم جميع أصحاب الديانات كلها. فهم لا يجيدون إلا قولهم: هكذا وجدنا آباءنا. كما حكى لنا ربنا تبارك وتعالى قولهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤] وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١]

وليس هذا رد مشركي مكة والعرب بل هو دأب الكفار جميعا بلا استثناء، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ* قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الزخرف: ٢٣ - ٢٥] وهو تهديد بعاقبة ستطولهم جميعا .

ثانيا: سد الخلل في تعبير المسلمين عن أي قضية، وذلك لكي تكون حجتهم قوية واضحة مختصرة ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ فلا يستطيع الخصم ردها، ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩]

ثالثا: وقف البلبلة في الرأي العام الإسلامي، ووضع القواعد الثابتة التي لا يقدر على وضعها أحد إلا الخالق الذي يعلم مافي الصدور. كما تعهد تعالى بقوله ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ فمن يستطيع أن يملك الماضي والحاضر والمستقبل؟ ومن الذي يملك القلوب والألسنة حتى لا يقولها أحد . فأمر بقطع كل جدال مع السفهاء ووضع عبارة واحدة للجميع يرددها في وجه هؤلاء

رابعا: وقف هجوم اليهود والمشركين والمنافقين. فبين لنا أنهم معاندون وأن عنادهم لن يتوقف بهذا الجدال. لأن الجدال نتيجته المرجوة أن تبين الحق أمام خصمك، والواقع أنه يعرف الحق فأفهمه أننا نعرف أنه يعرف. ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ وقد لجأوا إلى كتم الحق والتحريف من ذلك الوقت وإلى يومنا هذا ليطمسوا الكلام الذي ينبيء ببعثة نبينا صلى الله عليه وسلم وليقولوا للناس لا يوجد نبي اسمه محمد ، وكلما ظنوا أنهم اطمأنوا يكتشفون نسخة من التوراة أو الإنجيل مكتوبة منذ عهود طويلة، فيعيدون الكرة من جديد وتضيع أموالهم هباء. وهكذا هم في هذا الحال منذ قرون طويلة كما قال عز من قائل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦]

خامسا: طرح الريب والشك عند كل مسلم. لأنهم يعرفون أننا على الحق، وطالما أن خصمك يعرف أنك على الحق فكيف يكون عندك شك ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ

مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ وهذه الآية والتي قبلها أعظم شيء في تثبيت المؤمنين. يجب أن يعرفها كل مسلم، ويرفع رأسه عاليا في السماء .

وليعلم كل مسلم أن كل ما يفعله الكفرة اليوم هو دفع الحق بباطلهم ، وأنى لهم ذلك؟ وصدق الله العظيم حيث قال عنهم ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ *هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٨، ٩]

ثم يعلن التحدي لكل من خالف هذا الدين ويعمل ضده في الظلام أنه لن يطال شيئا مما يريد ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣]

نعم يأبى الله إلا أن يتم نوره الذي هوهذا الدين وقد أتمه وأكمله ﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]

والعجب من المسلمين كيف استسلموا للكفرة وقد وعدهم الله بنصره ؟! وكيف هانت عليهم أنفسهم وقد تحدى الله أعداءهم؟

لاشك أن ما نحن فيه عقوبة لما فعلناه فقد بين لنا أن لا نركن للكافرين ولا نصدقهم في شيء وإلا فالعقوبة كبيرة فقال تعالى ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]

وحذرنا أن لا يغرنا ما هم عليه من الدنيا فقال تعالى ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧]

المبحث الثاني

التكرار اللفظي الخاص ودلائله

أمر الله تعالى نبيه أن يتوجه إلى المسجد الحرام بألفاظ خاصة صريحة وكررها خمس مرات فقال تعالى: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]

ثم قال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٩، ١٥٠]

بعد أن قدم الله تعالى التمهيد لنقل القبلة بقوله ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ﴾ الذي يعتبر أول أمر عام بتحويل القبلة، وبعد أن قدم الردود على جميع السفهاء من اليهود والمنافقين والمشركين بين السبب في نقل القبلة، وهو تعبير مخالف لجميع الأوامر والنواهي القرآنية التي تبدأ مباشرة بالأمر أو النهي (افعل أو لا تفعل) لكن في هذه الآية يقول:﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ وكأنه يبين سبب التحويل وهو ترضية النبي صلى الله عليه وسلم. بادئا ذلك بلفظ صريح لا يحتمل التأويل وربط ذلك بفاء التعقيب.

وفي هذا التعبير بلاغة في قمة الروعة حق لها أن تحير البلغاء، فهو قد جمع بين (قد) الداخلة على المضارع التي تفيد التقليل مع التقلب الذي يفيد الكثرة، وعبر بالمضارع وهو يريد الماضي، فشغل البلغاء بمراده . وكيف جاء بها بعد (سيقول السفهاء) وقد حصل الأمر، فهو كلام متأخر أريد به التقديم، كأنه قال: قال السفهاء ما ولاهم عن قبلتهم وقد حولناها لأجل تقلب وجهك في السماء ورغبتك في عودتك لقبلة

أبيك إبراهيم وقبلة أجدادك ومرتع طفولتك ومدرج شبابك، وهذا أحسن من ادّعاء تقدم النزول، صحيح أنه منقول عن بعض العلماء [١] لكن النظر في البلاغة ووجوهها أفضل.

وهذا التعبير موجود في القرآن كما في قوله تعالى ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ [النور: ٦٣، ٦٤] وكرر مثلها في سورة الأحزاب: ١٨. وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: ٩٧] ومنه قول الشاعر :

لَعَمْرِي لَقَوْمٌ قَدْ نَرَى أَمْسَ فِيهِمْ مَرَابِطَ لِلْأَمْهَارِ وَالْعَكَرِ الدُّثُرِ [٢]

وقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: قَدْ نَرَى: رُبَّمَا نَرَى، وَمَعْنَاهُ: كَثْرَةُ الرُّؤْيَةِ، كقوله:

قَدْ أَتْرُكُ الْقِرْنَ مُصْفَرًّا أَنَامِلُهُ كأَنَّ أَثوابَه مُجَّتْ بِفُرْصادِ[٣]

ولكن لم يرتض هذا كثير من العلماء وانتقدوه [٤]

وقو له تعالى: ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ هذا التعبير يحمل التكريم العظيم من رب عظيم لهذا النبي العظيم، تكريم لا مزيد عليه، فأول الآية مجرد تقليب البصر في السماء الذي ينبيء عن التمني دون التلفظ بالطلب، فجاء الجواب بما يتمنى مع

(١) تفسير القرطبي (٢/ ١٥٨) والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/ ١٢٥)
(٢) البحر المحيط في التفسير (٢/ ٢١) واللباب في علوم الكتاب (٣/ ٢٩) و أضواء البيان (٢/ ٣٣٤) ومعناه أن الشاعر يتكلم عن الأطلال وأنه ربما كان يرى هنا مربطا للأمهار وهو جمع مهر وعكر الزيت الذي يدفن في التراب .
(٣) تفسير الزمخشري (١/ ٢٠١) ومعنى البيت أن الشاعر يمدح نفسه بأنه قد يترك بطلا مثله قتيلا قد اصفرت أنامله وتلطخت ثيابه كأنها مصبوغة بالحمرة . والفرصاد هو التوت، والبيت لعبيد بن الأبرص. لسان العرب (٣/ ٣٤٧) والصحاح للجوهري (٢/ ٥٢٢) ودرة الغواص (ص: ٧٩)
(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (٢/ ١٥٩)

الترضي وتنفيذ المطلوب فوراً ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾

ولم يقل قبلة أرضاها لك. لأنه معلوم أن الله خلق البيت قبل كل بيت وقال: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧] لكنه يريد هنا في تحويل القبلة أن يبين أن رضاه له اعتبار عند الخالق، كما بين أهمية إرضائه في الإسراء والمعراج حيث أصابه هم وحزن في العام الذي سماه عام الحزن [١] ففتح له ملكوت السموات والأرض وعوالم العرش والكرسي. وتم له الوصول إلى مقام قاب قوسين أوأدنى [٢]

وقوله (فَوَلِّ وَجْهَكَ) صيغتها صيغة أمر من الأعلى إلى الأدنى، ولكن لما قدم أنها هي أمنيته التي يرضاها ورغبته التي يبحث عنها أصبحت كالجواب الذي يترضى السائل، وهذا التعبير عند ما يكون من الله تعالى فله دلالة عظيمة. وهو كما قالت

---

(١) السيرة الحلبية (١/ ٤٩٠) وإمتاع الأسماع للمقريزي (١/ ٤٥) والتوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (١٠/ ١١٣)

(٢) تفسير النيسابوري (٢/ ٤٠١) وقد روى البخاري ٧٥١٧ عن أنس: ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى. والترمذي ٣٢٨٠ مختصرا. وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٣٩) والسراج في جزئه ١٣٩٥ وأبو عوانة في المستخرج ٣٥٧ وقال ابن حبان ٦٠ فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأى رَبَّهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الدُّنْيَا لِأَنَّهُ كَانَ مِنْهُ أَدْنَى مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ حَتَّى يَكُونَ خَبَرُ عَائِشَةَ أَنَّهُ لَمْ يَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْخَبَرَيْنِ تَضَادٌّ أو تهاتر. وينظر كتاب الإيمان لابن منده ٧١٢ وكتاب: رؤية الله للدارقطني ٢٧٤ والمخلصيات ١٧٥٨ واللالكائي في شرح الأصول ٩٠٦
وفي الدر المنثور (٧/ ٦٤٥) وَأخرج ابْن الْمُنْذر وَابْن مردَوَيْه عَن أبي سعيد الْخُدْرِيّ قَالَ: لما أسري بالنَّبِيِّ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم اقْترب من ربه ﴿ فَكَانَ قاب قوسين أو أدنى﴾ قَالَ: ألم تَرَ إِلَى الْقوس مَا أقربها من الْوتر. وقالوا: ومعنى دنوه تعالى: قرب منزلته. السراج المنير (٤/ ١٢٣) وفي تفسير الخازن (٤/ ٢٠٤) وعند أحمد ١٩٥٦ ومسلم (١٧٦) والترمذي ٣٢٨١ : رَأى مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم رَبَّهُ عز وجل بقَلْبِهِ .

السيدة عائشة رضي الله عنها: مَا أُرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ. (١) وهذا تعبير دقيق يعبر عن الموضوع الذي نحن بصدده. وإن كان كلامها في سياق آخر. (٢)

وقوله تعالى: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ يظن القاريء أن هذا هو الأمر الأول بالتولي شطر المسجد الحرام والأمر الثاني هو للمسلمين ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ ولكننا إذا اعتبرنا (سيقول السفهاء) إيذانا بتحويل القبلة وهو يتضمن الأمر وتنفيذه وتعليله والدفاع عنه، ففيه خمسة أوامر سبقت، كما بينا في المبحث السابق . فيكون هذا هو الأمر السادس. لأن الأمر للنبي أمر لأمته. وقوله ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ هو الأمر السابع. لأن الأمر للمسلمين أمر للنبي إلا ما أخرجه الدليل.

وبناء على هذا نجد اهتماما كبيرا بهذا الأمر، حيث لا نجد أمرا آخر أخذ هذا الحشد من الأوامر الظاهرة والضمنية والتفريعية . بمعنى أنه قدم كل المقدمات ثم أفرد النبي صلى الله عليه وسلم بالأمر على الوصف الذي ذكرنا ثم يكرر الأمر للمسلمين، مع أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم أمر للمسلمين وأمر المسلمين أمر للنبي صلى الله عليه وسلم . لكن حتى لا يتوهم الخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ ..الآية [الأحزاب: ٥٠] ولا يتوهم متوهم خروجه من الأمر كقوله: ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: ٣] فلما كرر الأمر له وللمسلمين علم يقينا أن هذا أمر هام مؤكد لا يتطرق إليه وهْمُ الخصوصية، ثم يثبت هذا الأمر بأنه معروف في الكتب السماوية ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ ثم يدعم هذا الأمر بآيات كثيرة ذكرناها في المبحث السابق.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٧٨٨ ومسلم ١٤٦٤ وأحمد ٢٦٢٥١ وابن ماجه ٢٠٠٠ وابن حبان ٦٣٦٧

(٢) فقد جاء في المراجع السابقة أن امرأة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة رضي الله عنها: أَمَا تَسْتَحِي المَرْأَةُ أَنْ تَهَبَ نَفْسَهَا لِلرَّجُلِ؟ فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ تُرْجِئُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ.

ثم يعيد الأوامر للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ جديد فيقول: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ فقوله ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ تكرر هذا اللفظ للمرة الثانية. لكن الأول جاء جوابا للتقلب الذي يدل على التمني، والتمني نوع من أنواع الطلب على وجه الرغبة في تحقق أمر محبوب [١] لكن قد يظن أن التمني قد لا يكون واجبا إذا تحقق. ولمنع هذا الظن كرر الأمر، ودعمه بقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ فعلم أنه حق وواجب وأمر ثابت [٢]

ولما أوجبه على النبي صلى الله عليه وسلم قد يُظَنُّ بأنه ليس واجبا على المسلمين، فكرر الأمر ليقطع الشك، وبين أنه واجب على النبي صلى الله عليه وسلم مع الأمة فقال: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ فقطع كل الشكوك، لكن دعمه بقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠] [٣]

وهكذا نرى أنه كرر اللفظ خمس مرات ليؤكد وجوب الأمر على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين عامة. سواء كان المسلم في المسجد أو خارجه أو خارج البلد الحرام. كل ذلك بأسلوب حجاجي لا يتمكن أحد من مخالفته .

ولكن بعض المفسرين يرى أنه لا يوجد تكرار بل الأمر جاء على كل حالة من هذه الأحوال التي ذكرناها. ولهم خمسة أجوبة عن ذلك :

الجواب الأول: أن الأحوال ثلاثة

أولها: أن يكون الإنسان في المسجد الحرام

---

(١) شرح الرضي على الكافية (١/ ٤٥٥) والنحو الوافي (٤/ ٣٦٥) وذكر أن أنواع الطلب عند النحويين هي الأمر والنهي والدعاء والاستفهام والعرض والتحضيض والتمني والترجي

(٢) تفسير الرازي (٤/ ١٢٥)

(٣) تفسير الرازي (٤/ ١٢٥)

وثانيها: أن يخرج عن المسجد الحرام ويكون في البلد

وثالثها: أن يخرج عن البلد إلى أقطار الأرض

فالآية الأولى محمولة على الحالة الأولى والثانية على الثانية والثالثة على الثالثة لأنه قد كان يتوهم أن للقرب حرمة لا تثبت فيها للعبد فلأجل إزالة هذا الوهم كرر الله تعالى هذه الآيات

والجواب الثاني: أنه سبحانه إنما أعاد ذلك ثلاث مرات لأنه علق بها كل مرة فائدة زائدة. أما في المرة الأولى فبين أن أهل الكتاب يعلمون أن أمر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. وأمر هذه القبلة حق لأنهم قرأوا ذلك في التوراة والإنجيل، وأما في المرة الثانية فبين أنه تعالى يشهد أن ذلك حق، وشهادة الله بكونه حقاً مغايرة لعلم أهل الكتاب بكونه حقاً. وأما في المرة الثالثة فبين أنه إنما فعل ذلك لئلا يكون للناس عليكم حجة فلما اختلفت هذه الفوائد حسنت إعادتها، لأجل أن يترتب في كل واحدة من المرات واحدة من هذه الفوائد ونظيره قوله تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَاذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ وويل لهم مما يكتبون﴾

والجواب الثالث أنه تعالى قال في الآية الأولى ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ فكان ربما يخطر ببال جاهل – أو لأول وهلة - أنه تعالى إنما فعل ذلك طلباً لرضا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه قال ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ فأزال الله تعالى هذا الوهم الفاسد بقوله مرة أخرى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ أي نحن ما حولناك إلى هذه القبلة بمجرد رضاك بل لأجل أن هذا التحويل هو الحق الذي لا محيد عنه، فاستقبالها ليس لأجل الهوى والميل، كقبلة اليهود المنسوخة، التي إنما يقيمون عليها بمجرد الهوى والميل. ثم أنه تعالى قال ثالثاً ﴿ وَمِنْ حَيْثُ

خَرَجْتَ فَوَلّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ والمراد دوموا على هذه القبلة في جميع الأزمنة والأوقات، ولا تولوا فيصير ذلك التولي سبباً للطعن في دينكم. والحاصل أن الآية السالفة أمر بالدوام في جميع الأمكنة، والثانية أمر بالدوام في جميع الأزمنة والأمكنة. والثالثة أمر بالدوام في جميع الأزمنة وإشعار بأن هذا لا يصير منسوخاً ألبتة.

والجواب الرابع: أن الأمر الأول مقرون بإكرامه إياهم بالقبلة التي كانوا يحبونها وهي قبلة أبيهم إبراهيم عليه السلام. والثاني مقرون بقوله تعالى ﴿وَلِكُلّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلّيهَا﴾ أي لكل صاحب دعوة وملة قبلة يتوجه إليها فتوجهوا أنتم إلى أشرف الجهات التي يعلم الله تعالى أنها حق. وذلك هو قوله ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبّكَ﴾ والثالث مقرون بقطع الله تعالى حجة من خاصمه من اليهود في أمرالقبلة. فكانت هذه عللاً ثلاثاً، قرن بكل واحدة منها أمر بالتزام القبلة، نظيره أن يقال: الزم هذه القبلة فإنها القبلة التي كنت تهواها، ثم يقال: الزم هذه القبلة فإنها الحق لا قبلة الهوى، وهو قوله ﴿ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبّكَ﴾ ثم يقال: الزم هذه القبلة فإن في لزومك إياها انقطاع حجج اليهود عنك. وهذا التكرار في هذا الموضع كالتكرار في قوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ ءالاء رَبِّكُمَا تُكَذّبَانِ﴾ وكذلك ما كرر في قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لاَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ .

والجواب الخامس: أن هذه الواقعة أول الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا فدعت الحاجة إلى التكرار لأجل التأكيد والتقرير وإزالة الشبهة وإيضاح البينات. (١)

الجواب السادس: قال ابن كثير: أَنَّهُ قَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِرَ بِاسْتِقْبَالِ الصَّخْرَةِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَكَانَ بِمَكَّةَ يُصَلِّي بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ، فَتَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهِ الْكَعْبَةُ وَهُوَ مُسْتَقْبَلٌ صَخْرَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَلَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ تَعَذَّرَ الجمعُ بَيْنَهُمَا،

(١) تفسير الرازي (٤/ ١٢٥)

فَأَمَرَهُ اللَّهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْجُمْهُورُ، ثُمَّ اخْتَلَفَ هَؤُلَاءِ هَلْ كَانَ الْأَمْرُ بِهِ بِالْقُرْآنِ أَوْ بِغَيْرِهِ؛ عَلَى قَوْلَيْنِ. (١)

دلائل التكرار اللفظي الخاص

أولا: أهمية الصلاة

الصلاة ركن من أركان الإسلام كما هو معروف (٢) وهي هنا لم تذكر بلفظها (٣) ولكنها ملزوم قوله تعالى: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ والتوجه لا يكون إلا عند الصلاة، ومن المستحيل أن يظل المسلم في كل أوقاته متوجها شطر المسجد الحرام، وقد علم المسلمون جميعا أن التوجه نحو الكعبة شرط من شروط الصلاة. فلا داعي لذكرها بعد هذا الذكر المشهود للقبلة، حيث ألفت فيه الكتب وسخرت الهيئات العلمية لبيان موقع المسجد الحرام وتحديد جهته في كل بلد إسلامي. وفي كل مسجد في بقاع الأرض، وعلى هذه الأهمية اعتمد النبي صلى الله عليه وسلم في تعليم الصلاة وبينها للأعرابي المسيء صلاته. (٤) وبين أن من تركها فقد كفر(١) وفي

---

(١) تفسير القرطبي (٢/ ١٤٨) ولم يكمل العبارة لأن القلين مفهومان من السياق الذي فيه النفي والإثبات .وتقل ذلك عنه أيضا ابن كثير (١/ ٤٥٣)

(٢) يدل على ذلك الحديث المشهور "بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان "
أخرجه أحمد (٣٦٣/٤ ، رقم ١٩٢٤٠) والبخارى (١٢/١ ، رقم ٨) ، ومسلم (٤٥/١ ، رقم ١٦) ، والترمذى (٥/٥ ، رقم ٢٦٠٩) وقال : حسن صحيح . والنسائى (١٠٧/٨ ، رقم ٥٠٠١) ، وابن حبان (٣٧٤/١ ، رقم ١٥٨) . وأبو يعلى (١٦٤/١٠ ، رقم ٥٧٨٨) ، وابن خزيمة (١٥٩/١ ، رقم ٣٠٩) ، والطبرانى فى الصغير (٦٠/٢ ، رقم ٧٨٢) . والكبير (٣٠٩/١٢ ، رقم ١٣٢٠٣) وألفاظه كثيرة جدا .

(٣) طبعا سيأتي أن ختام الموضوع كله قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣] لأن الموضوع كله ملزوم وجوب الصلاة التي تحتاج مكانا يتوجه إليه المصلي أثناء صلاته وزمانا تجب فيه الصلاة.

(٤) جاء في الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ المَسْجِدَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي نَاحِيَةِ المَسْجِدِ، فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ، ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» فَرَجَعَ فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ، فَقَالَ: «وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ، فَارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» فَقَالَ فِي الثَّانِيَةِ، أَوْ فِي الَّتِي بَعْدَهَا: عَلِّمْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاَةِ فَأَسْبِغِ الوُضُوءَ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ القِبْلَةَ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ بِمَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا»

رواية تحكي إجماع الصحابة على أن ترك الصلاة كفر قال عبد الله بنُ شقيق: كانَ أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَرَونَ من الأعمال شيئاً تركه كفر غير الصلاة [٢]

وهي الشيء الوحيد الذي يندم عليه إبليس. كما ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه و سلم قال " إذا قرأ ابن آدم السجدة وسجد اعتزل إبليس يبكي ويقول يا ويلي أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار " [٣]

ثانيا: أهمية الرضى النبوي

لأن الله تعالى ابتدأ الألفاظ الخاصة بقوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ والله تعالى يصور لنا حال النبي صلى الله عليه وسلم. ويبين لنا أنه مطلع على ما في قلبه من ميول وهو به رؤف رحيم ، وهو الذي يسارع في هواه . كما مر.

وكيف لا والمسجد الحرام هو مهوى قلوب العباد. وهي دعوة أبين إبراهيم عليه السلام. كما قال تعالى على لسانه: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]

فكانت الكعبة أحبّ إلى النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بيت المَقْدِس [٤] لعلاقته بأبيه إبراهيم. وكان يهوى الكعبة ويحبها وتميل نفسه إليها طبعا وشرعا. [١] وهو لا يكره بيت المقدس ولا يجوز

أخرجه ابن أبى شيبة (٢٥٧/١ ، رقم ٢٩٥٩) وأحمد (٤٣٧/٢ ، رقم ٩٦٣٣) ، ، والبخارى (٢٣٠٧/٥ ، رقم ٥٨٩٧) ، ومسلم (٢٩٨/١ ، رقم ٣٩٧) وأبو داود (٢٢٦/١ ، رقم ٨٥٦) ، والترمذى (١٠٣/٢ ، رقم ٣٠٣) وقال : حسن صحيح . والنسائى (١٢٤/٢ ، رقم ٨٨٤) وابن ماجه (٣٣٦/١ ، رقم ١٠٦٠)، وابن حبان (٢١٢/٥ ، رقم ١٨٩٠) . وأبو يعلى (٤٤٩/١١ ، رقم ٦٥٧٧) ، وابن خزيمة (٢٣٤/١ ، رقم ٤٦١) ، وأبو عوانة (٤٣٣/١ ، رقم ١٦٠٩)

(١) أخرجه: ابن أبي شيبة (٧٦٤٠) وفي " الإيمان "، له (١٢٦) ، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة ٩٣٣ والآجري في الشريعة ١٣٥

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٦٢٢) والمروزي في تعظيم قدر الصلاة ٩٤٨

(٣) أخرجه أحمد (٤٤٣/٢ رقم ٩٧١٣) ومسلم (٨٧/١ رقم ٨١) وابن ماجه (٣٣٤/١ رقم ١٠٥٢) ، وابن حبان (٤٦٥/٦ ، رقم ٢٧٥٩) ، وأخرجه أيضًا : ابن خزيمة (٢٧٦/١ رقم ٥٤٩) ، وأبو عوانة (٥٢١/١ ، رقم ١٩٤٥) . والبيهقى (٣١٢/٢ ، رقم ٣٥١٦) .

(٤) تفسير مقاتل (١/ ١٤٦) وتفسير الطبري (٣/ ١٧٣) رقم ٢٢٣٢ و تفسير السمرقندي (١/ ١٠١)

أن يكون غير راض بها لكن الكعبة كانت عنده مهوى النفس لدعوة أبيه إبراهيم . ومع هذا ظل النبي صلى الله عليه وسلم يثني على بيت المقدس في أحاديثه [٢]

وإنما عبر بالوجه ولم يعبر بالقلب الذي هو محل الرضا كأنه يقول له: لا تعلّق قلبك بالأحجار والآثار، وأفرد قلبك لي، ولتكن القبلة مقصود نفسك، والحقّ مشهود قلبك، وحيثما كنتم أيها المؤمنون فولوا وجوهكم شطره، ولكن أخلصوا قلوبكم لي وأفردوا شهودكم بي. [٣]

ثالثا: أهمية البيت

البيت العتيق هو محور القضية كلها. وهو أقدم قضايا العبادة على وجه الأرض. خلقه الله للطواف وللصلاة عنده وإليه قبل أن يخلق الخلق. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦] [٤] ثم رُفع البيت في طوفان نوح ثم بوأه الله لإبراهيم وبين له مكانه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦] فعرف مكانه قبل أن يبنيه، [٥] وإنما ترك أمنا هاجر وأبونا إسماعيل هناك قبل البناء . كما قال تعالى على لسانه: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧] [٦] ثم لما كثر

---

(١) تفسير الماوردي (١/ ٢٠٢) وقال: قيل: لا يجوز أن يكون رسول الله غير راض ببيت المقدس ، لمَّا أمره الله تعالى به ، لأن الأنبياء يجب عليهم الرضا بأوامر الله تعالى ، لكن معنى ترضاها: أي تحبها وتهواها ، وإنما أحبها مع ما ذكرنا من القولين الأولين ، لما فيها من تألف قومه وإسراعهم إلى إجابته ، ويحتمل أن يكون قوله: {تَرْضَاهَا} محمولاً على الحقيقة بمعنى: ترضى ما يحدث عنها من التأليف ، وسرعة الإجابة

(٢) كما في حديث " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى" أخرجه أحمد (٢/٢٣٤ ، رقم ٧١٩١) ، والبخارى (١/٣٩٨ ، رقم ١١٣٢) ، ومسلم (٢/١٠١٤ ، رقم ١٣٩٧) ، وأبو داود (٢/٢١٦ ، رقم ٢٠٣٣) والترمذى (٢/١٤٨ ، رقم ٣٢٦) ، والنسائى (٢/٣٧ ، رقم ٧٠٠) ، وابن ماجه (١/٤٥٢ ، رقم ١٤٠٩) . وابن حبان (٤/٤٩٨ ، رقم ١٦١٩) .

(٣) تفسير القشيري (١/ ١٣٤)

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٤١٣)

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٥٩) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٣٣)

(٦) المراجع السابقة

الناس وكبر ولده عند زمزم أمره الله ببناء البيت، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧] (١)

وقد تعرض للهدم والبناء مرات، ثم جدد لآخر مرة أيام عبد الملك . (٢) وبقي لنا هكذا: ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٧] (٣)

نعم بقي لنا إلى اليوم وإلى أبد الآبدين. نهوي إليه ونتجه إليه في صلواتنا ويتمنى كل مسلم الحج إليه، وإذا حججنا نتمسح به ونقبل الحجر الذي هو بمثابة يمين الله، ونتشبث بالملتزم ونسكب العبرات ونجهر بالدعوات .

رابعا: وجوب التوجه إلى المسجد الحرام في الصلاة وأهميته

بينا أن استقبال المسجد الحرام شرط من شروط الصلاة بإجماع المسلمين في القديم والحديث : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ *وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ (٤)

ومع اختلافهم في كيفية استقبال المسجد الحرام نجد أنه لا يجوز الخلاف مع وجود النص. قال عليه الصلاة والسلام " ما بين المشرق والمغرب قبلة " (٥) أي: لمن كان خارج البلد .والحديث صحيح.

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٢٧)
(٢) تفسير الثعالبي (١/ ٣٠٠)
(٣) تفسير الزمخشري (١/ ٣٨٧)
(٤) الإجماع لابن المنذر (ص: ٣٨)
(٥) أخرجه مالك (١٩٦/١ ، رقم ٤٦١) ، وابن أبى شيبة (١٤٠/٢ ، رقم ٧٤٣١) و عبد الرزاق (٣٤٥/٢ ، رقم ٣٦٣٣) . والترمذى (١٧٣/٢ رقم ٣٤٤) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (٣٢٣/١ رقم ١٠١١) . والدارقطنى (٢٧١/١) . الحاكم (٣٢٣/١ ، رقم ٧٤١)

وهذا أمر للمسلمين أينما كانوا وحيثما حلوا. ليكون رمزا للوحدة والاتحاد في الدين والعقيدة، متحدون في عبادة رب واحد متوجهون لقبلة واحدة، ينادون بكلمة واحدة: لبيك اللهم لبيك، كلمة يسهل حفظها وفهم معناها لدى غير الناطقين بالعربية. مهما كان جنسه ومهما كان عرقه . (١)

وكما ترى الناس حول البيت تتجه لذات البيت وعينِه تكون قلوب المسلمين هكذا في كل بقاع الأرض التي وصلها هذا الدين، وصدق الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم إذ يقول " لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ " (٢)

خامسا: إقرار أن يشْتَاقَ الرجل إلى مَوطنهِ ومكان ميلاده

قال السفهاء: إن محمدا اشتاق إِلَى مَوْلِدِهِ وَعَنْ قَرِيبٍ يَرْجِعُ إِلَى دِينِكُمْ، وَقَالَتِ الْيَهُودُ: قَدِ الْتَبَسَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَتَحَيَّرَ. وَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: ما ولاهم عن قبلتهم! واستهزأوا بالمسلمين لأنهم تركوا قبلتهم ودينهم . ولكن الله تعالى قال: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ لم يأبه لإفك الأفاكين وحمق السفهاء ولا عبث العابثين، بل نظر إلى عيون الحبيب المتقلبة في السماء تتوق إلى موطن الأجداد الطاهرة من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضىء معدّ وعنصر مضر. (٣) ومهد

---

(١) تفسير القرطبي (٢/ ١٤٨)

(٢) أخرجه أحمد ١٦٩٥٧ وابن منده في الإيمان (٢/ ٩٨٢) ١٠٨٥ والطحاوي في مشكل الآثار (١٥/ ٤٥٨) رقم ٦١٥٥ و الطبراني في الكبير (٢/ ٥٨) رقم ١٢٨٠ و تفسير ابن كثير (٤/ ١٣٦) والبحر المديد في لابن عجيبة (٤/ ٦١)

(٣) هذا من قول أبي طالب يوم خطب خديجة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: الحمد للّه الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضىء معدّ وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجا وحرما آمنا، وجعلنا الحكام على الناس. تفسير الزمخشري (١/ ٤٣٥) والبحر المحيط (٣/ ٤١٧) والسراج المنير للشربيني (١/ ٢٦٢)

الطفولة ومرتع الشباب وقرة العين عند الصلاة، ومسكب العبرات عند التضرع. [١] واستجاب لأطهر قلب وأشرف نفس في الوجود . وقال له : ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي ارجع إلى القبلة التي تحبها وتهواها رغم أنف هؤلاء جميعا، ولا تسمع لأحد فأنا سأتولى أمرهم وسوف أقطع حججهم وأرد عنك وعن دينك وقبلتك إلى يوم القيامة .

فليس عيبا أن يحن الرجل إلى مسقط رأسه ووطنه الذي يحبه، وقد باح ذات مرة بهذا الحب فقال وهو ينظر إلى الكعبة : «قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبَّ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مَا خَرَجْتُ»[٢]

فلا يلام رسول الله في تحوله إلى المسجد الأقصى لأنه أمر إلهي . كما لا يلام لحبه أحب البلاد إلى الله.

سادسا: التعبير بالوجه تعبير عن الكل

قال الله تعالى في الآية ١٤٤: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ هنا قال: وجهك ولم يقل : قلبك. مع أن الرضى شيء قلبي

وقال في الآية١٥٠﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ في هاتين الآيتين ذكر الوجه مفردا ثلاث مرات وذكر الوجوه مجموعة مرتين. وهذا شيء لا يجوز أن يمر هكذا مرورا سهلا دون وقفة، فلا يوجد حرف في القرآن إلا وله معنى فما بالنا بآيتين يتكرر فيهما الوجه خمس

---

(١) كان رسول الله يضع صدره عند الملتزم ويمسك بأستار الكعبة أو يقبل الحجرويقول: " هاهنا تسكب العبرات يا عمر" أخرجه ابن ماجه (٢/٩٨٢ ، رقم ٢٩٤٥) ، وأخرجه أيضًا : عبد بن حميد (ص ٢٤٥ ، رقم ٧٦٠) ، وابن خزيمة (٤/٢١٢ ، رقم ٢٧١٢) .. والحاكم (١/٦٢٤ ، رقم ١٦٧٠) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقى فى شعب الإيمان (٣/٤٥٦ ، رقم ٤٠٥٦) .

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٥/ ٢٧) رقم ٨٨٦٨ وأبو يعلى (٥/٦٩ ، رقم ٢٦٦٢) قال الهيثمى (٣/٢٨٣) : رجاله ثقات . والحارث كما فى بغية الباحث (١/٤٦٠ ، رقم ٣٨٧) . جمع الجوامع أو الجامع الكبير – السيوطي (ص: ١٥٤٠٥) والطبرانى (١٢/٣٦١ ، رقم ١٣٣٤٧)

مرات، خمس مرات ولاتثير انتباهنا؟ كيف ؟ هل يجوز لنا أن نوجه وجهنا إلى القبلة وجسدنا غير متجه أم لا بد من التوجه بكلية الجسد ؟ لا أحد يستطيع الادّعاء ألبتة أن المراد هو الوجه. وكذا في قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧] عبر عن الذات بالوجه ويكفر كفرا صريحا من يقول : الوجه هو الذي يبقى.

فالتعبير هنا هو صريح المجاز بلا منازعة، وواجب التأويل دون مكابرة، وعند هذا التعبير ومثلهِ يصطدم منكروا المجاز ويتوقفون، وتتوقف أذهانهم لا تحير جوابا ولا تنبس ببنت شفة !!! يقولون: أمروها كما جاءت . تمر وتمر وتمر . ولكن كيف تمر هنا؟

إذا أولت ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ فيجب أن تأول ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ حتى تظل القاعدة مستمرة. وهذا هو مذهب الأشاعرة . فلا يجوز أن تقول لي: نزل نزولا يليق بجلاله. لا يجوز ألبتة. لأنه منزه عن مشابهة الحوادث، فالنزول بأي شكل كان هو حركة وأنت تتحرك لاضطرارك للوصول إلى الأشياء والله غير مضطر والزمان والمكان بيده وملكه. يقولون (جلس على العرش) جلوسا يليق بجلاله . ولملا أحبوا أن يرضوننا وينفون عن ربنا الحكة قالوا: ينزل إلى سماء الدنيا ولا يزال على عرشه. وهذه مضحكة من المضحكات؟ كيف وهل يتسع العرش لجلوسه ؟ سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا.

متى قلت إن الوجه غير مقصود فقد أولت رغم أنفك واعترفت بالمجاز وأنت صاغر .

الله ربنا منزه عن مشاكلة البشر . كل المخلوقات بيده لا تخرج عن كونها مطوية بيمينه.العرش والكرسي وكل العوالم العلوية والسفلية ماهي إلا كحلقة في فضاء بيد الله. كيف ينزل وإلى أين ينزل وعلى أي شيء يجلس؟ تقول: سألت البلد . وبدون

مشقة يفهم عنك السامع أنك سألت أهل البلد . فلم النقاش والجدال وتكفير الآخرين وأنتم لا تعرفون الله حق معرفته !!! نعم لا نجادل ولكن عقيدتنا كعقيدة السامع لسؤال البلد دون أن يجادل. وهكذا: الوجه هو الذات دون جدال .

المبحث الثالث

التكرار الضمني ودلائله

تقدم معنا في المبحثين السابقين أن الألفاظ منها ماهو عام ومنها ماهو خاص ومنها ما هو ضمني تبعي يدخل في دائرة السياق. والآيات التي نسوقها لو لا أنها داخلة في السياق لكانت تحتمل كل ما تحمله. وما دامت في داخل السياق فهي أيضا تشير ألى تحويل القبلة ضمنيا.

١- فقوله تعالى في الآية ١٤٤: ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ جاءت في آخر الآية بعد الأمر بالتولية تحو المسجد الأقصى. ولاشك أنها متعلقة به. ولذا يقول الرازي معبرا:

أما قوله تعالى ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ يعني ما يعمله هؤلاء المعاندون الذين يكتمون الحق وهم يعرفونه ويدخلون الشبهة على العامة بقولهم ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ﴾ وبأنه قد اشتاق إلى مولده ودين آبائه فإن الله عالم بهذا فأنزل ما أبطله وكشف عن وهنهِ وضعفهِ [١]

ولكنها أيضا جاءت في معرض التهديد. أي لا يخفى على الله تعالى من أعمالهم شيء، فسوف يجازون بأعمالهم [٢] وأنهم ظنوا أن ما فعلوه نفعهم، فانكشف لهم فى الآخرة أن جميع ما فعلوه- لمّا مزجوه بالآفات وجرّدوه عن الصدق والإخلاص- غير مقبول منهم.يل أوردهم النار [٣]

٢- قوله تعالى في الآية ١٤٦: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ هذه الآية بعد معرض الفصل في الجدال وهو قوله تعالى ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ

(١) تفسير الرازي (٤/ ١١٩) وتبعه ابن عادل في اللباب (٣/ ٦٦)
(٢) تفسير السمرقندي (١/ ٧١)
(٣) تفسير القشيري (١/ ١٠٣)

أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وهي ترجع إلى أنهم يعرفون محمدا كما يعرفون أبناءهم وأن محمدا سيتوجه إلى الكعبة قبلة أبينا إبراهيم والأنبياء . وأنذلك يقرأونه في التوراة والإنجيل . وهذا قد نقله جميع المفسرين (١)

وقد نقل عن عبد الله بن سلام أنا اعلم به منى با بنى فقال له عمر ولم قال لأني لست أشك في محمد أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه (٢)

٣- قوله تعالى في الآية ١٤٧: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ لها علاقة واضحة وضمنية بالتوجه للمسجد الحرام. وهو رأي المفسرين أيضا فال الطبري: أعلم يا محمد أنّ الحق ما أعلمك ربك وأتاك من عنده، لا ما يقول لكَ اليهود والنصارى.

وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره خبر لنبيه عليه السلام: عن أن القبلة التي وجهه نحوها، هي القبلةُ الحقُّ التي كان عليها إبراهيم خليل الرحمن ومَنْ بعده من أنبياء الله عز وجل.

يقول تعالى ذكره له: فاعمل بالحقّ الذي أتاك من ربِّك يا محمد، ولا تَكونَنَّ من الممترين. يعني بقوله: ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أي: فلا تكونن من الشاكّين في أن القبلة التي وجَّهتك نَحوها قبلةُ إبراهيم خليلي عليه السلام وقبلة الأنبياء غيره، كما

(١) تفسير الزمخشري (١/ ٢٠٤) وتفسير ابن عطية (١/ ٢٢٤) وتفسير القرطبي (٢/ ١٦٢) تفسير البيضاوي = (١/ ١١٢) وبوب له البخاري قبل الرقم ٣٦٣٥ والطبراني في الكبير عن سلمان (٦/ ٢٦٧) رقم ٦١٨٠

(٢) تفسير النسفي (١/ ١٤١) وتفسير ابن كثير (١/ ٤٦٢)

جاء عن الربيع قال: قال الله تعالى ذكره لنبيه عليه السلام ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ يقول: لا تكنْ في شك، فإنها قبلتُك وقبلةُ الأنبياء من قبلك. (١)

٤- قوله تعالى في الآية ١٤٨ : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ أي: لليهوديّ وجهة هو موليها، وللنصارى وجهة هو موليها، وهداكم الله عز وجل أنتم أيها الأمَّة للقِبلة التي هي قبلة. (٢)

وقريبا من هذا قال أبو حيان: لما ذكر القبلة التي أمر المسلمون بالتوجه إليها، وهي الكعبة وذكر من تصميم أهل الكتاب على عدم اتباعها ، وأن كلاً من طائفتي اليهود والنصارى مصممة على عدم اتباع صاحبها ، أعلم أن ذلك هو بفعله، وأنه هو المقدر ذلك، وأنه هو موجه كل منهم إلى قبلته . ففي ذلك تنبيه على شكر الله ، إذ وفق المسلمين إلى اتباع ما أمر به من التوجه واختارهم لذلك . (٣)

وقال:﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أَيْ قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْحَقَّ وَهَدَيْتُكُمْ لِلْقِبْلَةِ الَّتِي ضَلَّتْ عَنْهَا الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى وَسَائِرُ أَهْلِ الْمِلَلِ غَيْرُكُمْ، فَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ شُكْرًا لِرَبِّكُمْ، وَتَزَوَّدُوا فِي دُنْيَاكُمْ لِأُخْرَاكُمْ، فَإِنِّي قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ سَبِيلَ النَّجَاةِ فَلَا عُذْرَ لَكُمْ فِي التَّفْرِيطِ، وَحَافِظُوا عَلَى قِبْلَتِكُمْ، وَلَا تُضَيِّعُوهَا كَمَا ضَيَّعَهَا الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ فَتَضِلُّوا كَمَا ضَلَّتْ تلك الأمم (٤)

٥- قوله تعالى في الآية ١٥١ و١٥٢ :﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (١٥١)

قال بعض المفسرين هذه الآية خاصة بالعرب، لأنه قال: (فيكم) ولم يرتضه الأكثرون. وقالوا أيضا: الكاف في (كما) متعلقة بما قبلها، أي: كما أرسلنا إليكم

(١) تفسير الطبري (٣/ ١٩٠) ٢٢٧٢
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٥٦) وتفسير الطبري (٣/ ١٩٢) رقم ١٣٧٥
(٣) البحر المحيط (١/ ٦١١)
(٤) تفسير الطبري (٢/ ٦٧٩)

رسولا وأنعمنا عليكم بمعرفة وحدانيته وبمعرفة محاجة الكفرة في القبلة وأنعم عليكم بإكرامه إياكم بمُحَمَّد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ -، كذلك يجب عليكم أن تذكروه وتشكروا له. (١)

وقال آخرون: بل بما بعدها على تقدير: وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ بِبَيَانِ الشَّرَائِعِ، وَأَهْدِيكُمْ إِلَى الدِّينِ إِجَابَةً لِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ، كَمَا أَرْسَلْنَا فيكم رسولًا إجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام (٢)

وبنحو ذلك قال البغوي (٣)

٦- وقوله تعالى في الآية ١٥٣ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ وهذه الآية متعلقة ضمنيا بالموضوع. قال الطبري: وهذه الآية حضٌّ من الله تعالى ذكره على طاعته، واحتمال مكروهها على الأبدان والأموال، فقال:"يا أيها الذينَ آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة" على القيام بطاعتي، وأداء فرائضي في ناسخ أحكامي، والانصراف عَما أنسخه منها إلى الذي أحدِثه لكم من فرائضي، وأنقلكم إليه من أحكامي، والتسليم لأمري فيما آمركم به في حين إلزامكم حكمه، والتحول عنه بعد تحويلي إياكم عنه -وإن لحقكم في ذلك مكروهٌ من مقالة أعدائكم من الكفار بقذفهم لكم الباطل، أو مشقةٌ على أبدانكم في قيامكم به، أو نقصٌ في أموالكم وعلى جهاد أعدائكم وحربهم في سبيلي، بالصبر منكم لي على مكروه

---

(١) تفسير الماتريدي (١/ ٥٩٤) و
(٢) تفسير الرازي (٤/ ١٢٢)
(٣) تفسير البغوي (١/ ١٨٢) وعبارته مختصرة عن الرازي. قال: هذه الكاف للتشبيه، تحتاج إلى شيء ترجع إليه، فقال بعضهم: يرجع إلى مَا قبلهَا، مَعْنَاهُ: وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رسولا منكم، قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِير: دَعَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِدَعْوَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا، قالَ: رَبَّنا وَاجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ [الْبَقَرَة: ١٢٨] ، وَالثَّانِيَةُ قَوْلُهُ: رَبَّنا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ [الْبَقَرَة: ١٢٩] ، فَبَعَثَ اللَّهُ الرَّسُولَ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَوَعَدَ إِجَابَةَ الدعوة الثانية أن يجعل من [٦] ذُرِّيَّتِهِ أُمَّةً مُسْلِمَةً، يَعْنِي: كَمَا أجبت دعوته ببعث الرسول، كذلك أَجَبْتُ دَعْوَتَهُ بِأَنْ أَهْدِيَكُمْ لِدِينِهِ وَأَجْعَلَكُمْ مُسْلِمِينَ، وَأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ بِبَيَانِ شَرَائِعِ الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ، وَقالَ مُجَاهِدٌ وَعَطاءٌ وَالْكَلْبِيُّ: هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَا بَعْدَهَا وَهُوَ قَوْلُهُ: فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ، معناه: كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ فَاذْكُرُونِي، وَهَذِهِ الْآيَةُ خِطَابٌ لِأَهْلِ مَكَّةَ وَالْعَرَبِ، يَعْنِي: كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ رَسُولًا مِنْكُمْ، يَعْنِي: مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم، يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا، يَعْنِي: الْقُرْآنَ، وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ، قِيلَ: الْحِكْمَةُ السُّنَّةُ، وَقِيلَ: مَوَاعِظُ الْقُرْآنِ، وَيُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ، من الْأَحْكَامِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ.

ذلك ومَشقته عليكم، واحتمال عنائه وثقله، ثم بالفزع منكم فيما يَنوبكم من مُفظِعات الأمور إلى الصلاة لي، فإنكم بالصبر على المكاره تُدركون مرضاتي، وبالصلاة لي تستنجحون طلباتكم قِبَلي، وتدركون حاجاتكم عندي، فإني مع الصابرين على القيام بأداء فرائضي وترك معاصيَّ، أنصرهُم وأرعاهم وأكلؤُهم، حتى يظفروا بما طلبوا وأمَّلوا قِبَلي. (١)

وهكذا نرى العلاقة واضحة عند المفسرين دون اللجوء للتكلف ولي ذراع النصوص .

دلائل التكرار الضمني

أولا: كررت هذه الأمور الضمنية التي ذكرناها ليظل الموضوع مترابطا أوله بآخره في صورة مُحمكة، ولوحة بلاغية منسقة، لا تجد تعبيرا مهتزا ولا حشوا زائدا، وتجد المعاني كأنها جنود مجندة جيء بها للدفاع عن الموضوع، فتجده بعد قراءته مفهوما دون غموض، ميسرا للمعرفة، كما قال جل شأنه وعز سلطانه: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]

وهكذا كل القرآن الكريم لا زيادة فيه ولا نقصان. معجز في كل سوره ، لم تستطع الجن عندما سمعته إلا ان تقول: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١] ولم ينته أهل البلاغة وفرسان الفصاحة إلا أن قالوا: وَاللَّهِ إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ وَمَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ، وَقَالَ لِقَوْمِهِ: وَاللَّهِ مَا فَيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي وَلَا أَعْلَمُ بِرَجَزِهِ وَلَا بِقَصِيدَتِهِ مِنِّي وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ، وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ هَذَا

(١) تفسير الطبري (٣/ ٢١٣)

الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى وَإِنَّهُ لَيُحَطِّمُ مَا تَحْتَهُ . (١)

ثانيا: يجب أن نسلم بحكمة الله الذي خلق الصراع بين الخير والشر، لأنه لا فائدة من كفر البشر كلهم، لأن الشياطين يملأون الأرض، ولا فائدة من وجود الخير لوحده . فعالم الملائكة يملأ السماء والأرض، ولكن الصراع مستمر ليظهر من يريد الخير ممن يريد الشر. فقوله تعالى: ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ أي ليظهر علمنا فيهم (٢) والله سبحانه وتعالى يعلم كل ما يكون قبل أن يكون. ولكنه يريد أن يظهر المكنون من الناس، حتى يحاسبهم عليه، ويأخذهم به، فهو لرحمته بهم لا يحاسبهم على ما يعلمه من أمرهم، بل على ما يصدر عنهم ويقع بالفعل منهم. أو لنميز لكم هؤلاء من هؤلاء ، كما قال ابْنُ عَبَّاسٍ: لِنَمِيزَ أَهْلَ الْيَقِينِ مِنْ أَهْلِ الشَّكِّ وَالرِّيبَ . (٣)

ثالثا: يجب الا ستباق إلى الخيرات دون النظر إلى الغيب الذي لم نطلع عليه، لأن الله أمرنا بالعمل ولم يطلب منا الانشغال بالغيب الذي أخفاه عنا امتحانا لنا . (٤)

رابعا: التهوين من شأن من لا يقف عند الحق والحجة. فأمرنا ألا نلتفت إليهم ولا نختلط بهم فقال تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي

---

(١) الاعتقاد للبيهقي (ص: ٢٦٨) ونصه عند الحاكم: (٢/ ٥٥٠) رقم ٣٨٧٢ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا عَمِّ، إِنَّ قَوْمَكَ يَرَوْنَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا. قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: لِيُعْطُوكَهُ فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لِتُعْرِضَ لِمَا قِبَلَهُ قَالَ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا. قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغْ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَهُ أَوْ أَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ «فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمُ بِرَجَزٍ وَلَا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا وَوَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ» قَالَ: لَا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ. قَالَ: فَدَعْنِي حَتَّى أُفَكِّرَ، فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ: " هَذَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ يَأْثُرُهُ مِنْ غَيْرِهِ فَنَزَلَتْ ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾

(٢) تفسير البيضاوي (١/ ١١١) تفسير البغوي (١/ ١٧٦) وقال أيضا: قِيلَ: أَرَادَ بِهِ الْعِلْمَ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، فَإِنَّهُ لَا يَتَعَلَّقُ بِمَا هُوَ عَالِمٌ بِهِ فِي الْغَيْبِ، إِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِما يوجد معناه لنعلم الْعِلْمَ [١] الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعَامِلُ عَلَيْهِ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ، وَقِيلَ: إِلَّا لِنَرَى وَنُمَيِّزَ مَنْ يَتَّبِعُ الرسول في القبلة

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٥٠) رقم ١٣٤١

(٤) تفسير الطبري (٢/ ٦٧٩)

عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ولذلك قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨] وعدم المبالاة بهم هو أغيظ لهم ، وأبعد عن بث سمومهم ونشر أكاذيبهم . (١)

(١) تفسير القرطبي (٢/ ١٦٩) وتفسير ابن كثير (١/ ٣٣٤) وتفسير الخازن (١/ ٩١)

الخاتمة

بعد حمد الله على حسن الخاتمة نستطيع أن نقول: إن موضوع تحويل القبلة موضوع كبير جدا، وقد حاولنا أن نختصر جانبا من جوانبه. وهو دلائل تكرار الأمر بها ، حسب ما يسر الله لي وفتح علي. وما أظنني إلا كالغريق الذي رضي بالغرق فلم يرد نجاة، أو كمن غرق في بحر من العسل فرفض الخروج منه، وقد حاولت أن أرسل من ذلك البحر بنتائج لعلها تغري كل عاشق لكتاب الله فيشاركني لذة الغرق.

أولا: أن موضوع تحويل القبلة أنشأ خط دفاع عن الإسلام وأركانه ورموزه ، لو تأملنا هذا الدفاع لوجدناه مكتمل الأركان ، وأنه قد أحاط بكل قضايا الإسلام بسور منيع ، لم يستطع واليهود ولا أمثالهم أن يؤثروا على قضية واحدة من هذه القضايا، بل لم يستطع الجن بمردتهم إلا الاستسلام أمام عظمة القرآن .

ثانيا: أن هذا التكرار إذا نظرنا له من زاوية البلاغة الفائقة فلا يسمى تكرارا ولا زيادة، كأعمدة ضخمة متسقة متناسقة يشبه أولها آخرها تحمل مبنى عظيما، ولكنك لا تستطيع أن تقول أحدها مكرر . بل الواقع إذا سقط واحد منها وقع المبنى. بل لو أخذت جزءا من أي عمود فقد أفسدته وعرضته للسقوط .

ثالثا: أن تكرار الألفاظ في قضية واحدة من مئات القضايا التي تناولها القرآن تنبئنا أن كل القضايا بهذه القوة لا يستطيع أحد أن ينقد شيئا منها ولو استعان بعتاة البلاغة ومردة الجن ، ومازال القرآن يتحداهم بقوله ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] وقد رجع بالخيبة كل من حاول أن ينتقد آية واحدة وأعياه ذلك إعياء منعه من تكرار المحاولة مرة أخرى:

كناطح صخرة يوما ليفلقها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل [١]

رابعا: أنه يجب على كل مسلم عالم أو يدعي العلم أن يحفظ هذه القضايا المهمة على الأقل ليجيد الجواب، بدل أن يضحك الناس عليه ويكون ذريعة للانتقاد .

وهذه هي الوصية الوحيدة التي نوصي بها دائما .

(١) إسفار الفصيح (١/ ٢٤٣) وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٣/ ١٨٣) وديوان الأعشى: ٤٦.

فهارس المصادر

١- أخلاق العلماء للآجري: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ) تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري .ط: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - السعودية

٢- الآداب للبيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) اعتنى به وعلق عليه: أبو عبد الله السعيد المندوه .ط: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) المحقق: علي محمد البجاوي .ط: دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

٤- أسد الغابة لابن الأثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود . ط : دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى سنة: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م

٥- إسفار الفصيح للهروي محمد بن علي بن محمد، أبو سهل الهروي (المتوفى: ٤٣٣هـ) تحقيق

أحمد بن سعيد بن محمد قشاش . الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ

٦- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء للكلاعي : سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع (المتوفى: ٦٣٤هـ) ط : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ

٧- الانتصار لأصحاب الحديث للسمعاني: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) المحقق: محمد بن حسين بن حسن الجيزاني . ط : مكتبة أضواء المنار – السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

٨- البحر المحيط لأبي حيان : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل . ط : دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ

٩- البحر المديد لابن عجيبة : أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان . ط : الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة .الطبعة: ١٤١٩ هـ

١٠- البدر المنير لابن الملقن : سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ) المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال . ط: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض-السعودية - الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

١١- التاريخ الكبير للبخاري : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ) طبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن .طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان

١٢- تاريخ بغداد للخطيب : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) المحقق: الدكتور بشار عواد معروف . الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت .الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م

١٣- تاريخ دمشق لابن عساكر : أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ) المحقق: عمرو بن غرامة العمروي . ط : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .عام ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

١٤- ترتيب الأمالي الخميسية للشجري : يحيى (المرشد بالله) بن الحسين (الموفق) بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني (المتوفى ٤٩٩ هـ) رتبها: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي (المتوفى: ٦١٠هـ) تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل . ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط : الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

١٥- تفسير ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) تحقيق مجموعة . ط: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ

١٦- تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد . ط: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

١٧- تفسير ابن فورك: محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (المتوفى: ٤٠٦هـ) تحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير) ط : جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى: ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م

١٨- تفسير ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة . ط : دار طيبة الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

١٩- تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) تحقيق جماعة . ط: دار طيبة . الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٢٠- تفسير البيضاوي(أنوار التنزيل وأسرار التأويل) : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي . ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

٢١- تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي .ط : دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م

٢٢- تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير): أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ

٢٣- تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ط: دار الكتاب العربي – بيروت . الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ

٢٤- تفسير السمرقندي (بحر العلوم) : أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي . تحقيق: د.محمود مطرجي . ط : دار الفكر - بيروت

٢٥- تفسير السمعاني : أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم . ط : دار الوطن، الرياض – السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م

٢٦- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور

عبد الله بن عبد المحسن التركي . ط : دار هجر . الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

٢٧- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش . ط : دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

٢٨- تفسير القشيري(لطائف الإشارات) : عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ) المحقق: إبراهيم البسيوني. ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر . الطبعة: الثالثة

٢٩- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) : محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) المحقق: د. مجدي باسلوم. ط : دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان.الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٣٠- تفسير الماوردي(النكت والعيون) : أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم . ط : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان

٣١- تفسير عبد الرزاق : أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) ط : دار الكتب العلمية .تحقيق: د. محمود محمد عبده

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ

٣٢- تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ) المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل. ط : دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر . الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

٣٣- تفسير مقاتل : أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)
المحقق: عبد الله محمود شحاته. ط : دار إحياء التراث – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ
٣٤- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر : يوسف بن عبد البر النمري المتوفى سنة ٤٦٣ . ط : المطبعة المنيرية القاهرة و دار الكتب العلمية بيروت، ١٣٩٨هـ
٣٥- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة لقوام السنة : إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ) المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي. ط : دار الراية - السعودية / الرياض .الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م
٣٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم : أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) ط: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م
٣٧- خلق أفعال العباد للبخاري : محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى : ٢٥٦ هـ .المحقق : فهد بن سليمان الفهيد . ط : دار أطلس الخضراء . الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٥ هـ
٣٨- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط . ط : دار القلم، دمشق
٣٩- الدر المنثور في التفسير بالماثور للسيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت: (٩١١هـ) تحقيق: مركز هجر للبحوث. ط : دار هجر القاهرة سنة١٤٢٤ هـ

٤٠- الدعاء للطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: مصطفى عبد القادر عطا. ط : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٣

٤١- الرد على الجهمية للدارمي : أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (المتوفى: ٢٨٠هـ) المحقق: بدر بن عبد الله البدر . ط : دار ابن الأثير – الكويت الطبعة: الثانية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

٤٢- روح البيان : إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) ط : دار الفكر - بيروت

٤٣- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي. ط : دار الكتاب العربي – بيروت. الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

٤٤- سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد . ط : المكتبة العصرية، صيدا - بيروت

٤٥- سنن الترمذي : محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر . ط : مصطفى الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

٤٦- سنن الدارمي : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ) المحقق: نبيل هاشم الغمري . ط : دار البشائر (بيروت) الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

٤٧- السنن الكبرى للبيهقي : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا . ط : دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٤٨- سير أعلام النبلاء للذهبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ) المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط . الناشر : مؤسسة الرسالة . الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م
٤٩- شعب الإيمان للبيهقي : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد .ط : مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند .الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م
٥٠- صحيح ابن حبان : محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ) حققه: شعيب الأرنؤوط . ط: مؤسسة الرسالة، بيروت .
الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
٥١- صحيح البخاري . تحقيق : د. مصطفى ديب البغا . ط : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧
٥٢- صحيح مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي . ط : دار إحياء التراث العربي - بيروت
٥٣- الطبقات الكبرى لابن سعد : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (المتوفى: ٢٣٠هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م
٥٤- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير : محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: ٨٤٠هـ) حققه: شعيب الأرنؤوط . ط : مؤسسة

الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت .الطبعة: الثالثة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

٥٥- الفصول في الأصول للجصاص: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ) ط: وزارة الأوقاف الكويتية الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

٥٦- فضائل الخلفاء لأبي نعيم : أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) تحقيق: صالح بن محمد العقيل. ط : دار البخاري بالمدينة المنورة . الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٥٧- فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: د. وصي الله محمد عباس . ط : مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ - ١٩٨٣

٥٨- فوائد تمام : أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الجنيد البجلي الرازي ثم الدمشقي (المتوفى: ٤١٤هـ) المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي. ط : مكتبة الرشد – الرياض. الطبعة: الأولى، ١٤١٢

٥٩- المجالسة وجواهر العلم للدينوري: أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي المتوفى سنة : ٣٣٣هـ المحقق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ط : جمعية التربية الإسلامية (البحرين) ، دار ابن حزم (بيروت - لبنان) سنة ١٤١٩هـ

٦٠- المحنة على الإمام أحمد لعبد الغني المقدسي: : عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، تقي الدين. المتوفى: ٦٠٠هـ المحقق: أحمد فريد المزيدي . ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ

٦١- المستدرك للحاكم : أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا . ط : دار الكتب العلمية – بيروت . الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠

٦٢- مسند ابن أبي شيبة : أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) المحقق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي. ط : دار الوطن – الرياض الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م

٦٣- مسند أبي حنيفة : أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (المتوفى: ١٥٠هـ) رواية الحصكفي . تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود . ط : الآداب - مصر

٦٤- مسند أبي يعلى الموصلي : أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ) المحقق: حسين سليم أسد . ط : دار المأمون للتراث – دمشق .الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤

٦٥- مسند أحمد : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. ط : مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

٦٦- مسند إسحاق بن راهويه المتوفى : ٢٣٨ هـ . المحقق : عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي . ط : مكتبة الإيمان - المدينة المنورة. الطبعة : الأولى ، ١٩٩١ م

٦٧- مسند البزار (البحر الزخار) أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ) تحقيق مجموعة. ط: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة . الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)

٦٨- مسند الطيالسى : أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ) ط : دار المعرفة - بيروت

٦٩- مسند الفردوس للديلمى (الفردوس بمأثور الخطاب للديلمى: شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني (المتوفى: ٥٠٩هـ) المحقق: السعيد بسيوني زغلول. ط : دار الكتب العلمية بيروت.الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م

٧٠- مسند عبد بن حميد (المنتخب من مسند عبد بن حميد) أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي ويقال له: الكَشّي بالفتح والإعجام (المتوفى: ٢٤٩هـ) المحقق: صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي . ط: مكتبة السنة القاهرة. الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ – ١٩٨٨م.

٧١- مصنف ابن أبي شيبة : أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت الناشر: مكتبة الرشد – الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٩

٧٢- مصنف عبد الرزاق : أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط : المجلس العلمي- الهند الطبعة: الثانية، ١٤٠٣

٧٣- معالم أصول الدين للرازي : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) المحقق: طه عبد الرؤوف سعد . ط : دار الكتاب العربي - لبنان

٧٤- معانى القرآن للأخفش أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ) بدون بيانات .

٧٥- معاني القرآن وإعرابه للزجاج : إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) المحقق: عبد الجليل عبده شلبي .ط : عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
٧٦- المعجم الأوسط للطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: مجموعة. ط: دار الحرمين - القاهرة
٧٧- معجم الصحابة للبغوي : أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (المتوفى: ٣١٧هـ) المحقق: محمد الأمين بن محمد الجكني .ط: مكتبة دار البيان – الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م
٧٨- المعجم الكبير للطبراني .تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط : مكتبة ابن تيمية – القاهرة الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م)
٧٩- معرفة الصحابة لأبي نعيم : أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى : ٤٣٠هـ) تحقيق : عادل بن يوسف العزازي ط : دار الوطن للنشر – الرياض الطبعة : الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
٨٠- مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.ط : دار هجر . الطبعة: الثانية، ١٤٠٩ هـ
٨١- مناقب علي لابن المغازلي (مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه) : علي بن محمد بن محمد بن الطيب بن أبي يعلى بن الجلابي، أبو الحسن الواسطي المالكي، المعروف بابن المغازلي (المتوفى: ٤٨٣هـ) المحقق: أبو عبد

الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي .ط: دار الآثار – صنعاء . الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٨٢- منتهى السول لابن الحاجب : عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (المتوفى: ٦٤٦هـ) المحقق: حسن أحمد العثمان. ط: المكتبة المكية – مكة الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م

٨٣- المنخول (المنخول من تعليقات الأصول) للعزالي : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) حققه: الدكتور محمد حسن هيتو .ط : دار الفكر المعاصر- بيروت لبنان، دار الفكر دمشق – سورية الطبعة: الثالثة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

٨٤- نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي .ط: مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

٨٥- نوادر الأصول في أحاديث الرسول للحكيم الترمذي : محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي المتوفى: نحو ٣٢٠ هـ. تحقيق: عبد الرحمن عميرة

ط: دار الجيل - بيروت

٨٦- الهداية الى بلوغ النهاية للقيرواني: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)

المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي .ط: جامعة الشارقة. الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

٨٧- الوسيط للواحدي (الوسيط في تفسير القرآن المجيد) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق: مجموعة . ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م